الباب الثاني
نزاربايف في تاريخ كازاخستان الحديث

الفصل الأول
طريق نحو القيادة

الـــنـشـأة :

ولد **نورسلطان أبيشولي نزاربايف** في **6** يوليو **1940** ، بقرية تشيمولغان التابعة لمركز قاراساي بمقاطعة ألماطي حيث يرجع تاريخ قرية تشيمولغان إلي عام **1907** ، حين قامت إدارة التوطين بمقاطعة سيميريتشيه بتخصيص قطعة من الأراضي في تشيمولجان التوطين الوافدين من روسيا عند تقاطع طريق " **فيرني . طشقند** " البريدي مع نهر شامالجان علي بعد **36** فرسخاً[1] من مدينة فيرني .

كانت تشيمولغان في الأربعينيات عبارة عن قرية سوفيتية نمطية تتكون من ثلاث عشر شارعاً يتخللها نهر يقسمها إلي شطرين ، وكانت السيارات أمراً نادراً غير مألوف ، فكان الأهالي يتنقلون علي أرجلهم أو علي ظهر الخيول أو العربات التي تجرها الخيول ، وفي أشهر الصيف كان يتخلل القرية طريق للماشية يسلكه الرعاة بقطعانهم ليصعدوا من الوادي إلي المراعي الجبلية ، ولم يتبق في القرية من البيوت القديمة التي انتزعت السلطات السوفيتية ملكيتها من الاقطاعيين إلا نحو عشرة منازل ، أما بقية المنازل بالقرية فكانت عبارة عن مساكن مؤقتة .

ترجع أصول أبيش نزاربايف الذي ولد عام **1898** ، والمتوفي عام **1971** ، إلي فرع القوشيق من عائلة الشابيراشتا بالعشيرة الكبري ، وهو نجل نزارباي سبقباي أولي المتوفي عام **1901** ، شيخ الناحية والقاضي الأهلي ، وفقد أبيش أباه مبكراً فاضطر وهو في الحادية عشرة من عمره أن يعمل فلاحاً أجيراً لدي أسرة نيكيفوروف الروسية والتي كانت أسرة ميسورة الحال ، حيث تخشنت يداه وانصقلت مهاراته المهنية ، ونظراً لحبه للعمل وتعطشه للمعرفة استطاع أبيش بخلاف الكثيرين من أقرانه أن يتعلم اللغة الروسية ، كما أتقن حرث الأرض وتشغيل الطاحونة ، وصناعة الأحذية ، وأبلي بلاء حسناً في زراعة البساتين والتجارة ، وهو ما كان أمراً نادراً بالنسبة

---

[1] – الفرسخ هو وحدة قديمة لقياس المسافات ، وهي كلمة فارسية الأصل ، وكانت تقدر ما بين أربعة وستة كيلو مترات واصطلح علي أن تقدير الفرسخ = 5.8 كيلو متر في نظام القياس الدولي الحديث .

للوسط الذي كان يعيش فيه ونظراً للقيود المعروفة والسائدة آنذاك لم يتمكن أبيش من الحصول علي التعليم فكانت الحياة أكبر مدرسة وخير معلم له ، مثله في ذلك مثل الكثيرين من أبناء جيله .

أما السيدة **ألجان نزاربايفا** . **والدة نورسلطان** . فقد ولدت في قرية " **قاسيق** " المعروفة حالياً باسم قرية تالابطي ، مركز كورداي مقاطعة جامبول ، في أسرة السيد جاكانباي الذي كان يعمل إماماً ، ويرجع أصوله إلي فرع قاسقاراو من عائلة الدولات بالعشيرة الكبري ، وكان الانتماء إلي الطبقة الدينية بالمجتمع هو السبب وراء أعمال الاضطهاد التي تعرضت لها الأسرة فيما بعد من قبل السلطة السوفيتية ، ورغم هذه المحن والنوائب التي كانت من نصيب ألجان .

مُنح الوليد الجديد اسم " **نورسلطان** " ، وهو اسم مركب من كلمتين " **نور** " وهي كلمة عربية تعني **الشعاع ، والضوء ، والبريق ، والطهارة ، والقرآن ، والنور اسم من أسماء الله الحسني** ، وكلمة " **سلطان** " وهي كلمة عربية أيضاً تعني " **الحاكم الأعلي صاحب الأمر ، صاحب السلطان ، ولي الأمر ، النبيل ، الارستقراطي ، المختار ، الفاضل** " ، وكان أفراد الأسرة والعائلة والأصدقاء يختصرون الاسم فيقولون " **سلطان** " ، ووفقاً للتقليد السائد بأن يتبني الجد حفيده رمزياً ، فقد اكتسب الصبي صفة الأخ الأصغر لوالده ، وبالتالي كان سلطان داخل دائرة الأسرة يدعو جدته " **أبا** " وتعني " **أمي** " في اللغة الكازاخية ، **وأباه** " **أغا** " **أي** " **الأخ الأكبر** " ، أما أمه الفعلية ألجان فكان يناديها " **جينيشيه** " أي " **زوجة الأخ الأكبر** " .

عادات احترام السلف من العادات التي لها معني عظيم عند الكازاخ ، ففي عصور الرحل كانت شجرة نسب العائلة هي التي تحدد الفروق الرئيسية بين أقرباء الدم والغرباء ، بين الأرض والغرباء الغزاه ، وما زال حتي الآن ، فإن الإبن الذي يحترم تقاليد الأسرة الكازاخية ويحافظ علي تقاليد وثقافة الكازاخ يجب أن يعرف عن ظهر

قلب أسماء وتاريخ أسلافه حتي الدرجة السابقة ، ومن ثم تعلم نزاربايف منذ نعومة أظافره ، احترام أجداده القدامي[1] .

رزق الأبوان أبيش وألجان بعد نورسطان بثلاثة من الذرية ، صبياً عام **1947** أسماه **ساطيبالدي** ، ثم بنتاً عام **1950** سميت **أنيبا** ، والأخير صبي سمي **بولاط** عام **1953** ، وعاش **نورسلطان** الأعوام الخمسة الأولي من حياته في أوشكونور دون أن يخرج منها ، وكان أبوه يرعي الماشية كرئيس لعمال تربية الحيوان بالمزرعة التعاونية ، حيث كانت أوشكونور تقع علي سفوح جبال ألاطاو ، ويعد من أبرز معالمها ولقد كانت هذه الأرض مسكناً لأجداد **نورسلطان نزاربايف** جميعاً ، حيث كانوا يمتهنون الرعي والزراعة في سلام وسكينة ، ومتي تطلب الأمر يحملون السلاح للدفاع عن أرضهم ضد الغزاة .

كان أحد أجداد **نورسلطان** من الجيل الثامن هو القائد العسكري المعروف قاراساي باطير ألطيناي أولي ، الذي عاش خلال الفترة من عام **1589** إلى عام **1671** والذي شارك بدور كبير في حرب التحرير التي قام بها الشعب الكازاخي ضد الغزاة الجونغاريين ، وتقديراً لبطولاته صار اسمه منذ ذلك الحين هو رمز القتال لعشيرة الشابيراشتا ، كذلك علق في ذاكرة الناس اسم جده نزارباي الذي كان من أشد أنصار التحول إلى حياة الحضر ، وبذل الكثير من أجل نشر مهنة الزراعة بين أبناء عشيرته ، ولا تزال توجد في تلك النواحي " **طاحونة نزارباي** " " **مروج نزارباي** " ، تلك الأماكن التي كان لها صلة مباشرة بعمله .

عاشت أسرة نزاربايف في أوشكونور سنوات الحرب العالمية الثانية من عام **1941** حتي عام **1945** ، حيث كانت تلك الحرب كارثة لم يسلم منها بيت ولا أسرة ، ولم يكن أبيش استثناء من ذلك ، فبحكم اعاقته لم يكن لائقاً للخدمة العسكرية ، فانضم

---

[1] – **نورسلطان نزاربايف ونشأة كازاخستان – جوناثان آيتكين – أبوظبي 2011** .

مع الآخرين إلي خدمة امداد الجيش والمؤخرة بالغذاء والتموين اللازم ، وإلي جانب مهمة إطعام أفراد الأسرة ، أخذ أبيش والجان علي عاتقهما مساعدة أسر الأصدقاء والجيران الذين تم استدعاء عائليهم إلي الخدمة العسكرية ، أما الأعمال التي خلت من الرجال الذين توجهوا إلي جبهة القتال فصارت تتولاها النساء والشيوخ والأطفال الذين كانت تضطرهم الظروف للعمل ما بين **12** إلي **14** ساعة في اليوم .

وفقاً للعادات السائدة في ذلك الزمان ، وذلك الوسط الاجتماعي ، انخرط الطفل نورسلطان في العمل ليساعد والديه ، وصار اهتمامه بالعمل يزداد ، حيث كان يهتم بالحيوانات والطيور في المنزل ، ويحمل المياه من البئر ، ويقوم بكسر الأخشاب وتحميل الفحم ، ويعتني بالنباتات والثمار المحيطة بالمنزل ، ويهتم بتنظيف وترتيب الفناء ، ولكن الأطفال في ذلك الوقت كان يملؤهم إيمان عميق في صدق الدرب الذي تسير عليه دولتهم السوفيتية ، وثقة بالغة في التعبئة الهائلة للقوي الروحية البدنية التي نجح المواطنون السوفيت بفضلها في التغلب علي عدو بهذه الدرجة من القوة مثل ألمانيا النازية [1] .

وعندما وضعت الحرب أوزارها كان نورسلطان قد أتم الخامسة من عمره ، لكنه في هذه السن الصغيرة كان يملؤه شعور شديد بمشاركته في تقرير مصير الوطن فقد سمع كلمة الوطن منذ صغره وهو يجلس أمام موقد التدفئة الذي كان يخفف من شدة البرد القارص في خندق تحت الأرض ، ويتقاسمون جميعاً رغيف الخبز حيث كانت رحي الحرب تدور علي مسافة آلاف الكيلو مترات من القرية وكانت تتوارد من الجبهة البلاغات عن وفاة أبناء القرية من الشباب والأقارب والأهل والصبية من الجيران الذين ماتوا قبل أن ينهوا تعليمهم المدرسي ، فتنوح الأمهات وتتقطع لنواحها القلوب ، ويتملك الرعب في نفوس الأطفال ، ويعصر الحزن قلب كل

---

[1] – نور سلطان نزار بايف : قصة الحياة لرئيس جمهورية كازاخستان الأول – م . ب . كاسيميبكوف – ديلو فوي مير 2012 – أسطانا .

عجوز فقد ابنه الوحيد ، فلقد كان الأطفال الذين يعرفون بالملائكة الأبرياء والذين لا ترد لهم دعوة ، فقد كانوا يتخيلون إخوانهم في القتال ضد العدو فيكررون ما يسمعونه من الكبار من دعاء ويصلون من أجل الوطن ، فاستجاب الله لهم ، وتحقق النصر .

لقد أودت الحرب بحياة مئات الآلاف من أبناء كازاخستان ، بينما تجاوز عدد الضحايا من كافة الاتحاد السوفيتي عشرين مليون نسمة ، أما من نجوا وعادوا من أرض المعركة فقد كانوا يموتون بعشرات الآلاف جراء الاصابات والأمراض بل تعرض الكثيرون لأعمال قمع لا يستحقونها ، لكن رغم كل شئ انخرط رجال الجبهة في عملية إحياء البلاد في فترة ما بعد الحرب ، فكان كل ما رآه **نورسلطان** وعايشه ، رسخ في وعيه الشعور ببالغ الامتنان للجيل الأكبر علي تفانيهم في الكفاح وتحقيق النصر ، وعلي أنهم وفروا لمن بعدهم حياة السلام ومنذ ذلك الحين حاول بكل ما في وسعه أن يحيط المحاربين القدماء بكل تقدير وعناية ورعاية ، كذلك تشكلت في تلك السنوات توجهات واضحة في فكره نحو معاداة الحروب وحب السلام ، تلك التوجهات التي تشجب الحرب وتبعاتها الهادمة للحضارة التي تقوض المجتمع وتشوهه وكثيراً ما تؤدي إلي فقدان البشر لطابعهم الانساني ، فقد تأثر مصير أسرة نورسلطان نزاربايف بالتحولات الضخمة والمحن القاسية التي تعرض لها الشعب الكازاخي في القرن العشرين .

لقد سبق ميلاد **نورسلطان** بانوراما تاريخية للشعب الكازاخي بداية من التبعية الاستعمارية للدولة القصيرية ، ثم الحرب العالمية الأولي ، ثم الانتفاضة الوطنية التحررية للكازاخ عام **1916** ، ثم ثورتي فبراير وأكتوبر **1917** ، وصعود ثم سقوط حركة " آلاش أوردا " ، ثم الحرب الأهلية الدامية بين أبناء الشعب الواحد خلال الفترة من عام **1918** إلى عام **1920** ، ثم إقرار السلطة السوفيتية وقيام جمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية ، ثم ثورة أكتوبر الصغري التي تبناها **فيليب**

جولوشيوكين ،السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي بكازاخستان وما صاحبها من تجميع قسري للملكيات الخاصة وتحويل الكازاخ إلى حياة الحضر ، مما أدي إلى المجاعة الكبري في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين والنزوح الجماعي للكازاخ إلى خارج حدود الجمهورية ، ثم ما سمي " **السياسة الاقتصادية الجديدة** " وتجميدها بعد ذلك ، ثم أعمال القمع السياسي الجماعي من قبل النظام الشمولي ، وتهجير الشعوب المضطهدة إلى كازاخستان وإنشاء شبكة متفرعة في كازاخستان من معتقلات الاصلاح والعمل ضمن ما يعرف بمنظومة معسكرات " **الغولاخ** " ، ثم تقليص الحقوق السياسية والثقافية والعرقية واللغوية للشعوب الأصلية داخل أراضيها ، فكانت تلك الأحداث ترسم بانوراما لأهم الأحداث التاريخية الحساسة والعمليات التي سبقت ميلاد **نورسلطان نزاربايف** .

التحق نورسلطان في عام **1948** بالسنة الأولي الابتدائية بمدرسة **فورمانوف** " تحمل الآن ومنذ عام **1999** اسم **قاراساي باطير** " الكازاخية الروسية للتعليم الأساسي بقرية تشيمولجان ، وكانت أول معلمة له هي السيدة **اسماعيلوفا** ، التي درست له من الفرقة الأولي الابتدائية حتي الرابعة ، وأمضي **نورسلطان** السنة الأولي والثانية من المدرسة وهو يقيم في بيت عمه أومبيت ، لأن والدايه لم يكن لديهما مسكنهما الخاص في تشيمولجان في ذلك الوقت ، ثم بعد ذلك اشتريا منزلاً واستقرا نهائياً في هذه القرية ، وكان أبيش يتمتع ببعد النظر ، فاختار منزلاً بشارع بودغورني بالجزء العلوي من القرية ، الذي كانت تسكنه غالبية روسية كي يتقن **نورسلطان** اللغة الروسية من خلال التعامل معهم ، ومنذ تلك اللحظة هيئت الأم لإبنها الصغير جو للمعرفة والنظام الصارم واتقانه لمهامه الجديدة ، ففي وقت استذكاره لدروسه كان يسود البيت الهدوء ، حتي أنه كان لا يُسمح بدخول رفاقه من الأطفال إلى البيت حتي ينتهي من تحضير واجباته المدرسية, وحينما كان يلعب مع أقرانه إلى أن تنهك قواه كان **نورسلطان** المتعطش للمعرفة يعود بعدها فيجلس علي مصباح

الكيروسين من المساء حتي الصباح ليستذكر دروسه وينهل من القراءة ، وهو الأمر الذي كان بالنسبة لأبويه بمثابة مثابرة كبري حيث لم يكن يُسمح لأي من أفراد الأسرة باشعال الضوء بالمنزل في غير الوقت المطلوب إلا النور المخصص **لسلطان** ، هكذا كان والداه اللذان لم تسمح لهما الظروف القاسية بتلقي ولو قسط من التعليم ، يحاولان تمكين ابنهما من تحصيل كل ما يمكن أن توفره له المدرسة الريفية الصغيرة .

لم يكن جميع أطفال القرية بمقدروهم الذهاب إلي المدرسة ، لذا فقد كان عدد التلاميذ في فصول التعليم باللغة الكازاخية بالمدرسة يتراوح ما بين **8** إلى **10** تلاميذ ، ولكن هذه القلة كانت توفر عدداً من الميزات ، فقد كان كل تلميذ يحظي بالكثير من الوقت والعناية والمتابعة من قبل المربين والمدرسين ، كما كان ذلك يعطي المعلمين فرصة خلال اليوم الدراسي الواحد لإجراء الاختبارات وتقويم التلاميذ في خمس أو ست مواد دراسية ، وهو ما كان يتطلب بدوره جدية كبري من التلاميذ في عمل الواجبات المدرسية المنزلية ، فلقد كان مدرسي **نورسلطان** في مدرسة تشيمولجان علي قدر كبير من المسئولية " [1] .

كان نورسلطان يتميز بسرعة الاستيعاب ، ولم تكن عملية الدراسة تتطلب منه الكثير من الجهد ، فقد كان نبيهاً ويتمتع بعقل ثاقب وذاكرة جيدة ، لذا كان منذ بداية دراسته من المتفوقين ، إلا أن الصبي نفسه أدرك في مرحلة مبكرة للغاية أن المواهب الطبيعية لا يمكن أن تعوض المعارف المتعمقة والراسخة ، لذا فقد أقبل علي الدراسة في مثابرة وإصرار ، جاعلاً أكبر اهتمامه ليس للحفظ الأولي وإنما لفهم جوهر الموضوع ، كما تجلت عند **نورسلطان** في مرحلة مبكرة للغاية مواهب ابداعية ، حيث تأثر بجدته وهو في الخامسة بحفظ مقاطع كبيرة من الملاحم

---

[1] – نور سلطان نزار بايف : قصة الحياة لرئيس جمهورية كازاخستان الأول – م . ب . كاسيميبكوف – ديلو فوي مير 2012 – أسطانا .

الشعبية ، ثم انغمس فيما بعد مثل الكثيرين من أقرانه في قراءة قصص المغامرات ، لكن المكتبة الريفية المتواضعة لم تكن تلبي كل احتياجاته ، لذلك كان يقرأ كل ما تقع في يديه دون استثناء ، وقد أسدي له هذا الاقبال علي القراءة بشغف خدمة جليلة فيما بعد ، حيث وسعت ثقافته وإطلاعه وزادت مع مرور السنين من قدرته علي معالجة الكميات الكبري والمتنوعة من المعلومات بسرعة وكفاءة .

عندما بلغ **نورسلطان** إثنا عشر عاماً من عمره كان قد أتقن العزف علي آلة " **الدوميرا** "،" **الهارمونيكا** "[1] ، حيث كان يؤدي عليهما الأغاني الكازاخية والروسية فيثير دهشة المحيطين به ، وقد دفعه ولعه بآلة " **الهارمونيكا** " إلى أن يعمل في إحدي السنوات شهور الصيف بأكملها عند جارهم ، يعد له الطوب اللبن كي يشتري " **هارمونيكا** " تكون ملكه الخاص ، وقد نجح في النهاية في تحقيق حلمه المنشود بما ادخره من أجر ، ولما لاحظ الأب ميل ابنه للموسيقي اشتري له خلال بعض من الوقت آلة " **دوميرا** " من صانع الآلات الموسيقية بالقرية ، فأتقن **نورسلطان** فن العزف عليها علي يد أحد أقاربه ، هو " **قويجا سار أولي** " .

كان **نورسلطان** قد بدأ في نظم الشعر وتأليف الأغاني التي كانت في المراحل الأولي تتسم بالتقليد والسذاجة ، ثم اكتسبت بعد ذلك مع مرور الوقت طابع الأصالة والنضج وتحمل معان عميقة في طياتها ، ورغم قرب القرية نسبياً من عاصمة الجمهورية إلا أن الأحوال فيها كانت بعيدة عن الحياة الثقافية للمدن الكبري ، لذلك كانت عروض فن الهواة والأفلام السينمائية وجولات الفرق الموسيقية والزيارات النادرة لرجال الأدب والفن بمثابة عيد حقيقي بالنسبة لأهالي القرية .

---

[1] – الدوميرا هي آلة موسيقية وترية تقليدية كازاخية ، أما الهارمونيكا فهي آلة نفخ موسيقية تحوي على عدد من الريش المصنوعة من البرونز أو النحاس الأصفر ، وقد اخترعها الألماني كريستيان لودينج بوشمان عام 1821 .

كان لممارسة التربية البدنية والرياضة مساحة كبيرة في حياة **نورسلطان** ، فقد نشأ في بيئة تقليدية ، وكان من الطبيعي أن يتقن الرياضات الكازاخية الوطنية مثل ألعاب " **القازاقشاكوريس** ، **الكوكبار** ، **البايغية** ، **الأودار يسباق** ، **التقيم تارتو** ، **الأسيق أتو** " وغيرها ، وكان يهوي تنظيم المباريات بين الصبية حيث كان يقوم بدور المدرب والحكم الصارم ، وكان الأطفال يعوضون النقص في المعدات الرياضية بالقوائم والعوارض التي كانوا يصنعونها بأنفسهم ، والأراجيح ، وكثيراً حتي بالصخور وجذوع الأشجار الملقاة علي الأرض ، وفي الشتاء كان التلاميذ يتزحلقون علي الزلاجات ، ويشيدون المدن الثلجية ، أما في الصيف فكانوا يسبحون لفترات طويلة في مياه الأنهار الجبلية المتدفقة الصافية ، وفي نادي الشطرنج الذي كان يديره سلطانبيكوف مدرس المدرسة ، كان الأطفال يتعلمون باهتمام مهارات لعبة الداما والشطرنج وكذلك اللعبة الكازاخية الوطنية " **توغيز قوما لاق** " .

كان **نورسلطان** مثل السواد الأعظم من أقرانه في القرية ، يقضي القدر الأكبر من الوقت في مساعدة والديه في عمل الفلاحة المضني ، فقد كان يذهب دائماً في شهور الصيف تارة مع أبيه إلى حقل القمح ، وتارة مع أمه إلى مزارع الشمندر فعاش وشعر عن قرب وعلي أرض الواقع بالحياة الصعبة التي يعيشها الفلاحون الذين كانت السلطة السوفيتية تعدهم ليقوموا بدور " **الإقطاعيين** " الجدد ، فالعمل البدني المضني ، الذي كان يحتاج للمزيد من الميكنة وكان لا يُسدد أجره بنقود فعليه بقدر ما يسدد بالمنتجات ، وكذلك عمليات الاستعباد المكاني والاجتماعي التي كانت تمارس مع عمال المزارع التعاونية منوعي الهوية ، وعدم توفر الكثير من وسائل الراحة المعيشية والخدمات الاجتماعية والثقافية ، ومذهب الإدارة والمغامرة الذي كانت تتبعه السلطات في إدارة الحياة والانتاج في القرية ، والتباين الحاد في مستوي الرفاهية بين المدينة والقرية ، فقد غرس كل ذلك في نفس نورسلطان أولي

بذور الشك في عدالة النظام الاشتراكي في الإدارة والتوزيع الذي كان سائداً في الاتحاد السوفيتي .

كانت الحكومة تسمح للفلاحين بتسويق الفائض من المنتجات الزراعية التي يستزرعونها في مزارعهم الخاصة بأسعار السوق بهدف التخفيف من عجز المواد الغذائية ، لكن الأموال القليلة التي كان أبيش وألجان يتقاضانها من بيع ما يزرعونه في قطعة الأرض المحيطة بالمنزل من ثمار وخضروات لم تكن بأي حال من الأحوال تعالج المشاكل المادية التي تواجهها الأسرة ، ثم جاء بعد ذلك إلغاء البطاقات في عام **1948** ، مما خفف إلى حد ما العبء عن المواطنين السوفيت وأنعش التعاملات النقدية والسلعية ، إلا أن عهد نيكيتا خروشوف شهد مغامرات من التأرجح بين طرفي النقيض تمثلت تارة في تشجيع الانتاج الزراعي لأبعد الحدود ، وتارة أخري في التشديد من نظام القمع الضريبي ومصادرة المشروعات الزراعية ، مما ألقي علي القرية بموجة جديدة من الإفلاس وعدم الثقة في المستقبل ، حتي أن ذلك حفر في ذاكرة نورسلطان إلى الأبد مشهد يبعث علي الأسي ، في حين قام أبوه أبيش في غضب ويأس بقطع وإزالة بستانه المحبب إلى قلبه والذي زرعه بيديه دراً علي فرض ضريبة لا يصدقها عقل علي أشجار الثمار .

سعي **نورسلطان** باعتباره أكبر الأبناء إلى مساعدة والديه للخروج في أسرع وقت ممكن من فاقتهما والنهوض بأخويه الصغيرين وأخته حتي يقفا علي أقدامهما ، لذا قرر إنهائه الفرقة السابعة من المدرسة أن يترك الدراسة ويتجه للعمل ، لكن بعد أن استمع الأب إلى حجج نجله في هذا الشأن أقنعه بالتخلي عن هذه الخطوة الطائشة ومواصلة دراسته ، لا سيما أنه قبل ذلك بفترة وجيزة كان **نورسلطان** قد تم قبوله ضمن أوائل من انضموا إلى صفوف اتحاد الشبيبة الشيوعي " **الكومسومول** " لتفوقه الدراسي ونشاطه الكبير في مجال الخدمة العامة .

أغلقت الفرقة العاشرة بمدرسة تشيمولجان عام **1957** ، لعدم اكتمال نصابها من الدارسين ، واضطر **نورسلطان** مع ست من زملائه للتحويل إلى مدرسة آباي الثانوية بمركز كاسكيلين لاستكمال الدراسة ، واستقبل فريق العاملين بالمدرسة الداخلية التلاميذ الجدد بفرح وسرور ، وقرروا أن يوفروا لهم المسكن والملبس والغذاء ، إلا أن **أبيش** كان يرغب في تهيئة أفضل الظروف المعيشية لابنه ويحاول حمايته بكل السبل مما يمكن أن يتعرض له من تأثير أصدقاء السوء فرفض معونة الدولة واستأجر له شقة رغم امكاناته المادية المحدودة .

سرعان ما أحب المدرسون والمربون **نورسلطان** الوافد الجديد من تشيمولجان لأنه لم يكن بالنسبة لهم أفضل تلميذ وحسب ، وإنما كان أيضاً خير معين في الأنشطة غير الدراسية ، والخدمة العامة ، حتي انتخبه التلاميذ في البداية سكرتيراً للجنة الاتحاد علي مستوي المدرسة ، وقد كانت الاستقلالية في التفكير والشجاعة وحب الاستطلاع الذي كان يتميز به الصبي القادم من تشيمولجان تثير الاهتمام والارتباك لدي المعلمين ، وخاصة عندما كان يطرح بعض الأسئلة التي لم تكن يتوقعها أحد ولم يكونوا مستعدين للإجابة عليها ، كانت مناقشة المعلمين لأحوال التلاميذ في مجالس المعلمين يتخللها دائماً سيرة نزاربايف ، الذي كان يهوي الربط بين المواد الدراسية ، الأمر الذي يدل علي قوة معارفه وحرصه علي تكوين صورة للعالم في ذهنه تتسم بالتكامل والترابط والتناسق المنطقي .

شكل عدد من المعلمين في **نورسلطان** علي مدار حياته صورة الشخص الموهوب والمنضبط المثابر ، المفعم بشعور الواجب والعدالة ، ومن هؤلاء المعلمين **بايجانوف مدير المدرسة ، عيسايف رئيس قسم التعليم ومدرس التاريخ ، عبدولينا مدرس اللغة الروسية وآدابها ، أسكاروف مدرس الأحياء ، بيسينبيتوف مدرس اللغة الكازاخية وآدابها ايجيلمانوف ، كينجيكييف مدرسا الرياضيات ، يرتايقيزي ، كاتالوف ، كونكاشبايف سارباسوفا ، ساريبايفا وغيرهم** ، وقد ترك هؤلاء ذكري طيبة لدي **نورسلطان** وزملائه في الفصل الذين

صاروا فيما بعد في مصاف الخبراء المتميزين في **الطب البيطري والاقتصاد ، والمحاسبة والتعليم والتعدين والتعاونيات الاستهلاكية والنقل والهندسة .**

جعل النشاط الاجتماعي وسعة الأفق وحسن الخلق من **نورسلطان** زعيماً منذ السنوات الأولي في حياته ، ففي مسيرات الاحتفال بعيد الثورة في السابع من نوفمبر ، وعيد العمال في الأول من مايو ، كان ينال شرف حامل راية المدرسة ويسير في مقدمة الطابور ، كما تجلي ذلك إبان التقارب السياسي بين الاتحاد السوفيتي والصين وتوطيد الصداقة بين البلدين ، حيث حاز **نورسلطان** وقتها علي ثقة كبيرة ونال شرف الحق في مراسلة المدرس الشاب الصيني تشوباي سياو من المدرسة الثانوية رقم **5** بمدينة تشنغدو بمقاطعة سيتشوان ، حيث كان خطاب من المواطن الصيني قد وصل إلي اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة الشيوعي السوفيتي في **5 نوفمبر 1957** ، وتم تحويله بعد إلي سكرتير لجنة الاتحاد بمنطقة كاسكيلين السيد كودرين الذي تسلم الخطاب في **فبراير 1958** ، وبتكليف من لجنة الاتحاد وتمكن السيد **تاستابيكوف** رئيس تحرير الصحيفة المحلية " **ظاكومونيزم** " وأسرة التحرير بالصحيفة من العثور علي صديق بالمراسلة للمواطن الصيني ، وكان هذا الصديق هو **نورسلطان نزاربايف** الطالب بالفرقة العاشرة ، وقد نشر خطابا الصديقين السوفيتي والصيني علي صفحات الجريدة في عددها الثلاثين بتاريخ **16 مارس 1958** ، لكن بعد فترة تدهورت العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والصين حتي وصل الأمر إلي قطع الاتصالات ونشوب نزاعات حدودية مسلحة ، الأمر الذي أدي بالطبع إلي افتراق صديقي المراسلة .

كانت الدعاية العلمية والتنويرية والسياسية في تلك الفترة تعمل بشكل منتظم ومكثف علي نشر المعلومات وتسليط الأضواء علي رجال المهن الهامة مثل **الطيارين والجيولوجيين وقباطنة أعالي البحار والمهندسين وخبراء التصميم الهندسي وأصحاب التجارب العلمية** الذين يسجلون أرقاماً قياسية مدوية ويحققون اكتشافات لامعة وكان

نورسلطان يحلم منذ فترة بمهنة من هذا النوع ، تكون جديدة ومليئة بالمخاطر ، وتضمن لصاحبها وضعاً اجتماعياً راقياً وراتباً جيداً ، ومن ثم توجه **نزاربايف** تملؤه الأفكار النبيلة والثقة في قدراته الذاتية إلى مدينة ألماطي للالتحاق بالجامعة ، واجتاز امتحانات القبول بنجاح ، ولكنه ولسوء الحظ تبين أنه ينقصه درجة واحدة عن مجموع الدرجات المطلوبة للالتحاق بهذه الكلية .

لم يستطع الشاب العودة إلى القرية والإذعان للهزيمة ، وألا يخيب آمال والديه ومعلميه وأهل قريته ، فكان يري أنه لابد من المحافظة علي تفوقه ويثبت قدرته في التعليم ، حيث كانت فرصة في تحقيق ذاته في القرية قد نفذت تماماً ، وبات عليه شق طريقه في الحياة حتي يصبح مواطن له مكانته ، فقد كان طابعه النضالي واعتزازه القوي بذاته دفعاه إلي التفكير جدياً والبحث عن فرص أكثر كرامة لاستغلال قدراته .

قرر نورسلطان في صيف عام **1958** أن يتقدم لامتحانات القبول بمعهد كييف للطيران المدني في مدينة ألماطي ، وبعد أن نجح في اجتياز مسابقة القبول بإدارة الطيران المدني بجمهورية كازاخستان والتحق بالمعهد ، عاد إلي القرية ليزف الخبر السعيد ، لكنه فوجئ بمجلس العائلة ينعقد بمشاركة كبار رجال العشيرة ليعترض علي مبادرته رافضاً سفر الشاب إلي بلاد الغربة ، وما كان من **نورسلطان** الذي تربي علي احترام الكبار ولم يعتاد علي مخالفتهم وكان يحاول ارضاء والديه ، إلا أنه أذعن لهذا الحكم وسافر إلي ألماطي لسحب أوراقه بعدما ترك في نفسه ذلك القرار جراحاً لامست معنوياته ، إلا أنه تولدت لديه رغبة لا تنثني في أن يخطو إلي حياة الكبار ، وأن يتحمل اختبار الصلابة بشرف بعيداً عن أحضان والديه ، وأن يحصل علي مهنة جيدة ويصير بجهده الذاتي عضواً كامل العضوية في المجتمع .

مـجـمـع قـــاراغـنـدا لـلـتـعـديـن :

اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، ومجلس الوزراء بالاتحاد السوفيتي في مارس **1956** ، قراراً بإنشاء مصنع قاراغندا للتعدين بجمهورية كازاخستان ، وفي أبريل **1958** أعلنت اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة الشيوعي في مؤتمرها الثالث عشر عن فتح باب التطوع بين الشباب الشيوعي للمشاركة في بناء هذا المشروع ، وتوجهت اللجنة إلى الشباب بالدعوة لدعم هذه المبادرة فلبي الدعوة الآلاف من الشباب والفتيات ليس من مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتي وحسب ، وإنما من دول المعسكر الشيوعي الأخري ، مثل **بلغاريا وبولندا وتشيكوسوفاكيا وألمانيا الشرقية** ، وعندما رأي **نورسلطان** الإعلان عن هذه المبادرة في صحيفة " **لينينسكايا سمينا** " قرر هو أيضاً الانضمام والسفر إلى المشروع وفي هذه المرة لم يحاول والداه أن يمنعاه عن عزمه ، فسافر الشاب في سبتمبر **1958** إلى بلدة **تيميرتاو** حيث موقع المشروع بعد أن حصل علي تذاكر السفر من اللجنة المحلية لاتحاد الشبيبة .

أثبت هذا الخيار من قبل **نورسلطان** نظرية توارث الأجيال داخل الأسرة والتشابه الفريد بين مصائرها ، فإذا كان والداه قد شاركا في مشروع " **تركسيب** " الحديدي ، أول مشروع ضخم في مجال النقل والمواصلات في كازاخستان في القرن العشرين ، فقد كان نجلهما ضمن رواد قاطرة الصناعات التعدينية في بلده حيث يرجع ميلاد مصنع قاراغندا للتعدين الذي صار فيما بعد **مجمع قاراغندا للتعدين** ، إلى توافر كافة العناصر اللازمة لدورة التصنيع المعدني في هذه المنطقة من الثروات الضخمة من **فحم الكوك وخامات الحديد والمنجنيز والأحجار الجيرية والدولوميت**،حيث توجد مكامن (**أتاسوسكوي ، سوكولوفسكوي ساربايسكوي ، ليساكوفسكوي ، كاتشارفسكوي لخامات الحديد ، حوض قاراغندا للفحم**) [1] كما كان يرجع إلى قرب الثروات وتوافر ما

[1] – **كازاخستان مفاجآت وأنماط بعد عشرين عاماً من الإستقلال – جوناثان آيتكين – سفارة جمهورية كازاخستان بدولة الإمارات العربية المتحدة 2012 – أبو ظبي .**

يكفي من الاحتياجات لمواصلة التصنيع علي المدي البعيد ، وكذلك الموقع الجغرافي واللوجستي المتميز لمقاطعة قاراغندا بالنسبة لكبار مستهلكي منتجات المصنع ، فقد كانت فكرة بناء مصنع يقوم بدورة كاملة من الصناعات التعدينية في كازاخستان قد نشأت في عام **1930** علي يد الأكاديمي ساتبايف .

كانت باكورة الصناعات التعدينية في كازاخستان التي سبقت **مصنع قاراغندا** هي مصنع كازاخستان للتعدين الذي أُنشئ في **تيميرتاو** عام **1944** بناء علي قرار اللجنة العامة للدفاع بالاتحاد السوفيتي ، بشأن إنشاء وإحياء مؤسسات تصنيع المعادن الحديدية ، بتاريخ **7** فبراير **1943** ، وقد أقيم هذا المصنع لانتاج المدرفلات والصفائح ، وأنجز المهام المنشودة منه في سنوات الحرب وما بعدها ، لكنه لم يكن بمقدوره تلبية متطلبات البلاد المتنامية من المعادن ، فكان لابد من إنشاء مصنع حديث نوعياً وأقوي انتاجياً لتوفير المعادن اللازمة للصناعات في كازاخستان وجمهوريات آسيا الوسطي والقطاع الأوروبي من الاتحاد السوفيتي ولذلك كان هذا هو الدافع الجيو استراتيجي والاقتصادي والسياسي والأيديولجي والدعائي وراء إنشاء هذا الصرح الصناعي الجديد في وسط كازاخستان .

كانت **تيميرتاو** في تلك الأوقات عبارة عن بلدة عمالية صغيرة تقع وسط مساحة إنشائية ضخمة بالقرب من بحيرة سمرقند الصناعية ، تحيط بها سهول شاسعة ولم يكن قد أُنشئ بها مجمع صناعي بعد ، لكن كان قد تم البدء في مد خط كهرباء مركزي وإنشاء أول فرن للصهر ، وقد أقام **نورسلطان** مع غيره من الوافدين الجدد في مساكن العمال بقرية **توكاريفكا** الواقعة خلف نهر نورا علي بعد **14** كيلو متر من تيميرتاو ، حيث قضي هناك شهرين ، وفي ذلك الوقت اتخذت الحكومة الكازاخية قراراً بارسال مجموعة من الشباب الكازاخ إلى مصنع **دزيرجينسكي للتعدين** في **دنيبر بأوكرانيا** والذي كان يعرف في الاتحاد السوفيتي بأنه " **بوتقة الكوادر** " ، وكانت تتبعه المدرسة الفنية رقم **8** التابعة للإدارة العامة للاحتياطيات العمالية

بمجلس الوزراء السوفيتي ، حيث كانت المدرسة تشتهر بحسن أدائها ، ومن ثم أوفد **نورسلطان** في نوفمبر **1958** للدراسة بمدينة **دنيبرودزيرجينسك** بجمهورية أوكرانيا السوفيتية ضمن مجموعة من الشباب الكازاخ .

لفت **نورسلطان** بقوي بنيته ونفسيته السوية القائمين علي المدرسة ، فضموه إلى مجموعة عمال الأفران ، فاندمج في الدراسة في نشاط وهمة ، حيث بدأ يتقن المواد العامة والمتخصصة ، فدرس ترطيب فرن الصهر وطريقة عمله ، وتقنية الصهر والسبك ، واستعمال الأجهزة والآلات ، وإلى جانب النظريات كان الدارسون يصقلون قدراتهم ومهاراتهم المهنية من خلال التدريب العملي اليومي في المصنع ، وكان جدول المحاضرات اليومي مكثفاً وصارماً للغاية ، حتي أنه كان يصل من ثماني إلى عشر ساعات يومياً ، إلا أن ذلك لم يشغل **نورسلطان** عن ممارسة الرياضة ، حيث كان يتردد علي قسم المصارعة لدي المدرب **يجيفسكي** ، الذي لم يفوت له محاضرة واحدة ، وظل يتدرب إلى أن تمكن من الفوز في المباريات علي مستوي المدينة والمقاطعة والمؤسسات ، وخلال عام واحد تمكن من الوصول إلى الدرجة الأولي في التصنيف .

سرعان ما جني الشاب ثمار اجتهاده ، ففي **الرابع من نوفمبر 1959** ، منحته لجنة **دنيبرودزيرجينسك** لاتحاد الشبيبة الأوكراني شهادة تقدير علي تفوقه في الدراسة ومشاركته النشطة في أعمال الخدمة العامة والشباب بالمدرسة ، ورغم حرارة اللقاء وحسن المعاملة التي قوبل بها الشباب الكازاخي في أوكرانيا ، إلا أن الإقامة في الغربة بعيداً عن بيئتهم التي اعتادوا عليها كانت تجلب لهم كل يوم نوعاً من الاختبارات ، لأن مسألة الكرامة القومية صارت منذ تلك اللحظة تحمل بالنسبة لهم معني محدد ، فقد أدرك **نورسلطان** أن العاملين بالمدرسة يحكمون علي الشعب الكازاخي كله من خلال مجموعة الدارسين بالمدرسة ، لذلك حاول أن يصون كرامة بلاده ، فكان يساعد بصفة شخصية المتعثرين دراسياً من أبناء بلده ، ويحافظ علي

النظام في الفصل وفي السكن الطلابي ، ويجعل من نفسه مثالاً لحامية زملاءه من سوء التصرفات وردئ السلوك .

كان الكثير من الدارسين من أسر رعاة الأغنام والقري النائية ، لذلك كانت اللغة الروسية لديهم ضعيفة ، الأمر الذي كان يمثل عائقاً كبيراً أمامهم في الدراسة وينعكس سلباً علي درجة تحصيلهم ، ولذلك فقد أخذ **نورسلطان** علي عاتقه القيام متطوعاً بدور المترجم ، فنال تقدير واحترام زملاءه وأساتذته ، كما تجلي نشاطه واجتهاده عندما كان يدخل التدريب العملي إلى العنبر المتقد بالوهج والمرتعد يالأزيز ، حيث كان سرعان ما يتغلب علي التردد ، ويكون أول المتقدمين لتنفيذ المهام التي يطلبها المدربون ، فالتف الشباب حوله ، وسرعان ما انتخبوه رئيساً للمجموعة .

وصلت المطربة الكازاخية الشهيرة **بيبجول توليجينيفا** في عام **1959** إلى **دنيبرودزيرجينسك** في جولة فنية ، فتطوع **نورسلطان** لمساعدة الفنانة ابنة بلده وعمل علي نشر مواعيد وبرنامج حفلاتها بين العاملين بالمصنع وأهالي المدينة .

كان خبير التدريب علي الانتاج **بوجوريلوف** من أوائل الذين لاحظوا مهارات القيادة الواضحة وبعيدة المدي لدي الشاب الموهوب المتماسك الطموح ، ففي حوار ودي مع المتدربين ، قيم بوجوريلوف قدراتهم فتنبأ بمستقبل كل منهم وكان مما تنبا به لمستقبل **نورسلطان** أنه سيترأس مجلس الوزراء ، فقد كان **نورسلطان** متزناً في تصرفاته ، رشيداً في سلوكه ، مهذباً للغاية في تعامله مع الناس فتمكن خلال مدة دراسته بأوكرانيا من اكتساب العديد من الأصدقاء الودودين المخلصين ، ومن بين **هؤلاء ساريكينوف ، بدورامانوف ، أسانوف ، إبراهيموف إسلامقولوف ، ناريكبايف ، تاتيموف** ، **وغيرهم** الذي صار الكثير منهم فيما بعد في مصاف خبراء التعدين من الدرجة الأولي وكبار وأبرز رجال السياسة والمجتمع.

نشأت صداقة قوية مدي الحياة علي ضفاف نهر الدنيبر بين **نورسلطان** والمصارع الأوكراني **نيكولاي ليتوشكو** ، الذي استقبلت أسرته الشاب الكازاخي بكل ود وكأنه

ابنها ، وعند عودته إلي أرض الوطن دعا **نورسلطان** صديقه للسفر معه ، وسرعان ما توجه **نيكولاي** إلي كازاخستان النائية المجهولة بالنسبة له ، وظل الصديقان يعملان جنباً إلي جنب ويعيشا معاً في مسكن واحد ، لكن بعد فترة وجيزة استدعي **نيكولاي** للخدمة العسكرية ، وبعدها تفرقت بهما السبل لزمن طويل ، وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً التقيا مرة أخري ، فكرر **نزاربايف** الدعوة إلي **ليتوشكو** الذي انتقل نهائياً مع أسرته إلي كازاخستان ليكون بجوار صديقه .

عندما انتقل **نورسلطان** إلي السنة الأخيرة من الدراسة ، وصلته شائعات تثير القلق عن وقوع أحداث طوارئ في **تيميرتاو** ، ولما عاد إلي كازاخستان علم من شهود العيان ، ثم بعدها بسنوات من الوثائق الأرشيفية أنه في **29 يوليو 1959** شهدت **تيميرتاو** تظاهرات جماهيرية من قبل الأهالي بالمدينة صحبتها أعمال فوضي وتدخل قوات الأمن وإطلاق النيران وسقوط ضحايا بشرية .

كان السبب وراء هذه الأحداث هو اهمال الدولة للعامل ، حيث كانت عمليات الإنشاء تسير علي قدم وساق ، بينما يعيش العمال في ظروف صعبة لا تحتمل حتي أنهم في كثير من الأحيان كانوا لا يملكون السلع الضرورية والمسكن ، وقد تم فض الاحتجاجات التي شارك فيها الآلاف من العمال والخبراء بقسوة شديدة كما تم فرض حظر التجوال بالمدينة ، وألقت الشرطة القبض علي أبرز النشطاء المشاركين في الاحتجاجات ، حيث حكمت المحكمة علي ست منهم بتوقيع أقصي العقوبة وهي الإعدام رمياً بالرصاص ، وسرعان ما حظرت السلطات النشر في هذا الموضوع .

ظلت الدولة تحاول علي مدار عقود أن تمحو الذكريات التي تركها هذا التمرد وظل **نورسلطان** يستلهم الدروس من الأحداث التي شهدتها **تيميرتاو** عام **1959** فاحترام العامل وتوفير معيشة كريمة له ، إلي جانب مساعدة غير القادرين لأسباب موضوعية علي رعاية أنفسهم من كبار السن والمعاقين والأطفال ، وكل ذلك صار

من مبادئ فلسفة هذا الرجل في الحياة والتي لعبت دوراً كبيراً فيما بعد في تشكيل وجهات نظره في مضمون سياسة الدولة ، وهو ما كان الأساس الذي تصرف عليه في سنوات **البيريسترويكا** " **سياسة إعادة البناء** " العاصفة في عقد الثمانينيات ، وفي أصعب فترات إقرار استقلال الجمهورية ، وإبان الأزمات العالمية خلال الفترة من عام **1997** حتي عام **1998** ، وخلال الفترة من عام **2008** حتي عام **2009** ، فلم يحاول وقتها التذرع بالصعاب الموضوعية التي كانت تواجهها البلاد ، وبذل كل ما في وسعه لمعالجة القضايا الاجتماعية وضمان الحماية الشاملة لأفراد الشعب .

كان **نزاربايف** يركز علي قطاع الأعمال الذي كان يري عن اقتناع راسخ أنه كفيل بتحمل جزء مع الدولة من عبء المسئولية الاجتماعية من خلال اطلاعه بدور شراكة كبيرة ليس في حل القضايا الاقتصادية فحسب وإنما الاجتماعية أيضاً ، فالتعاون في المسئولية الاجتماعية يقضي بأن يسهم قطاع الأعمال طواعية في تنمية المجتمع وتطوير المجالات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والدولة تنتظر من هذه السياسة قبل كل شئ توفير المزيد من فرص العمل وضمان تقديم حزمة من الخدمات الاجتماعية للعاملين ، والالتزام بقواعد حماية البيئة ، وقد تبينت صحة تلك الرؤية التي كان يتبناها **نورسلطان** خلال الأحداث المأساوية التي وقعت في مدينة **جاناأوزين** ، وبلدة **شيتبه** بمقاطعة **مانجيستاو** في ديسمبر **2011** ، حين تقاعست أجهزة الدولة والشركات الوطنية والقطاع الخاص في حل النزاع مع العمال فتفجر الوضع ، ما أدي إلي وقوع اصابات وسقوط ضحايا بشرية ، وجاء رد فعل الرئيس سريعاً ، عندما فصل المسئولية عن الأزمة وتشكيل لجنة حكومية للتحقيق في ملابسات الحادث وسرعة إعادة الوضع بالمدينة إلي ما كان عليه .

قامت اللجنة المحلية لاتحاد الشبيبة الأوكراني بمدينة **دنيبرودزيرجينسك** بتكريم **نورسلطان** في **13** أبريل **1960** ، وذلك للمرة الثانية بمنحه شهادة تقدير علي تفوقه الدراسي وأنشطته البارزة في الحياة العامة والشبابية بالمدرسة ، وفي **26** أبريل تخرج

الشاب من المدرسة بامتياز ، حيث قررت لجنة الامتحانات منحه درجة " **فرّان ثان من الفئة الثامنة** " ، حيث كانت أعلي فئة في تخصص التعدين الحديدي هي الفئة العاشرة ، وقد كان ذلك النجاح الذي حصل عليه خلال عام ونصف لا يقارن مع أي نجاح آخر في أي مؤسسة تعليمية عليا ، حيث كانت مدرسة **دنيبرودزيرجينسك** من أهم المدارس في علوم التعدين في ذلك الوقت .

عاد **نورسلطان** بعد تخرجه إلي أرض الوطن ، وانتظر علي أحر من الجمر افتتاح المصنع ، لتطبيق ما اكتسبه من معارف ومهارات فنية علي أرض الواقع وفي **9** مايو **1960** ، صدر القرار الإداري رقم **616** عن المؤسسة الكازاخية للإنشاءات التعدينية " **كازميتالورج ستروي** " ، الذي وقعه نائب مدير المؤسسة **تكاتشينكو** ، والذي أدرج اسم **نورسلطان نزاربايف** ضمن مجموعة من ثمانية عشر من خريجي مدرسة **دنيبرودزيرجينسك** للعمل كمساعد بإدارة إنشاء أفران الصهر " **دومين ستروي** " ، وظل مشاركاً في أعمال الإنشاء علي مدار شهر ونصف حتي الانتهاء من بناء فرن الصهر ، وفي **27** يونيو **1960** ، بموجب القرار الإداري رقم **960** لمؤسسة " **كازميتال ستروي** " ، انتقل **نورسلطان** إلي مصنع قاراغندا للتعدين كفرّان علي أفران الصهر .

أدرج **نورسلطان** في الأول من يونيو ضمن عمال الزهر علي ماكينات الصب من الدرجة الخامسة بعنبر الأفران بمنصع قاراغندا ، وفي الثالث من يوليو **1960** وقبيل بلوغه سن العشرين شارك **نزاربايف** كفرّان مساعد في تدشين فرن الصهر الأول والوحيد في ذلك الوقت في كازاخستان وآسيا الوسطي ، حيث قام مع الخبيرين " **ياجوفيتوف** ، **جيراشينكو** " بسبك أول انتاج كازاخستاني من الحديد الزهر ، ودخل هذا اليوم علي أنه يوم ميلاد مجمع المعادن الكازاخستاني ، ومن ثم تزامن بدء مشوار **نزاربايف** المهني مع هذا الحدث البارز في حياة الجمهورية وهو بداية تشغيل قاطرة التعدين الحديدي في كازاخستان .

كان شرف المشاركة في أول عملية صهر من نصيب زملاء **نزارباييف** في مدرسة **دنيبرودزيرجينسك " أبدورامانوف ، كورمانبايف ، بالمورزايف ، باطيرخانوف جاناربايف ، كيستاربايف ، كوربانوف ، قيريقبايف ، أورينبايف ، سليموف ، ساريكينوف سوكبيكوف ، سلطانبيكوف "** ، كما وصل إلي تيميرتاو لمشاركة مهندسي الإنشاء وخبراء التعدين فرحتهم بالانتصار في العمل كل من سكرتير أول الحزب الشيوعي الكازاخستاني **دين محمد كونايف** ، ورئيس مجلس الوزراء بجمهورية كازاخستان السوفيتية **تاشينوف** ، وسكرتير أول اللجنة المحلية للحزب الشيوعي بمقاطعة **قاراغندا سولوينتسيف** ، وقادة الأجهزة الحزبية والمجالس النيابية ومؤسسات اتحاد الشبيبة في **مقاطعة قاراغندا ، ومدينة تيميرتاو .**

بعد نصف قرن ، وفي عام **2010** ، وخلال الاحتفال بمرور خمسين عاماً علي إنشاء مجمع قاراغندا للتعدين ، عاد **نورسلطان نزارباييف** ليشارك مرة أخري في اليوبيل الذهبي للإنتاج ، وقام بتسليم الأوسمة والجوائز للعديد من قدامي العاملين بالمصنع الذين بدأ معهم في وقت من الأوقات مشواره المهني ، وكان أرفع وسام وهو لقب بطل أبطال العمل بجمهورية كازاخستان من نصيب **السيد جونوسوف** خبير سبك الصلب ، والحائز علي لقب خبير التعدين الفخري بالاتحاد السوفيتي ووسام الاستحقاق الكازاخستاني في مجال التعدين ، والذي ظل يناوب علي فرن الصهر ما يزيد علي نصف قرن من الزمان دون انقطاع .

شهد الشعب السوفيتي في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي نهضة روحية ومعنوية كبيرة نتيجة لسياسة " **ذوبان الجليد** " التي اتبعها **نيكيتا خروشوف** في الحياة الاجتماعية والثقافية ، والصعود التاريخي لأول انسان إلي الفضاء ، السوفيتي **يوري جاجارين** ، وتنفيذ المشروعات الفريدة في حجمها والتي جعلت المواطنين السوفيت يشعرون بالفخر ببلدهم ، وفي ظل هذه الظروف ظهر في تلك الأعوام فيلم " **الربيع في شارع زاريتشنايا** " للمخرج **خوتسييف** ، وبطولة

الممثل **نيكولاي ريبنكوف** ، وكان هذا الفيلم بمثابة الملهم لشباب العمال آنذاك ، حيث لعب البطل شخصية عامل صهر الصلب ، فصور عمله المضني محاطاً بهالة من الرومانسية البطولية ، وصار هذا الممثل مثالاً للتقدير والاعجاب لعدة أجيال من المواطنين السوفيت ، وقد كان هذا الفيلم محبباً كثيراً لقلب **نورسلطان** ، عامل التعدين الشاب أما أغنيته الشهيرة فكانت من أحب الأغنيات إليه .

انتقل نورسلطان في أغسطس **1960** إلي فرن الصهر رقم واحد كفرّان رابع من الدرجة السابعة وبعد عام تم ترقيته إلي فرّان ثالث من الدرجة الثانية ، وفي فبراير **1962** صار فرّاناً ثانياً من الدرجة التاسعة وظل يعمل علي هذه الدرجة حتي فبراير **1964** ، فقد كان عمل الفرّان شاقاً وفيه جهد كبير ، حيث تصل درجة الحرارة إلي ما يقرب من **2000** درجة مئوية داخل الفرن ، بالإضافة إلي الغاز والأتربة ، لذا فقد كان العبء علي الشباب كبيراً ، وكان الحديد كثيراً ما يتعرض للبرودة ، فتقع الحوادث الواحدة تلو الأخري ، ويتطلب الأمر ارتداء المعاطف الواقعية والدخول إلي اللهيب لسحب المعدات المتعطلة ، لذلك يكون الشباب دائماً منهكين وعضلاتهم لا تستريح ، وكثير منهم ينزف دماً من أنفه ، وكان البعض لا يستطيعون الصمود ، فيتركون العمل ويرحلون[1] .

كان هذا العمل الشاق في هذه الظروف القاسية كان يقابله أجر مجز ، وسرعان ما ارتفع راتب **نزاربايف** إلي **400** روبل ، وهو ما كان يعادل وقتها راتب وزير فكان يرسل نصف راتبه لوالديه ، لكن تبين فيما بعد أنهما لم يتصرفا في هذا المال ، بل كانا يدخرانه في دفتر توفير ، وبعد ذلك عندما تزوج **نورسلطان** أعاد والداه إليه كافة المبالغ التي كان قد بعث بها إليهما ليتمكن العروسان من بناء عش الزوجية ، وفي ديسمبر **1961** ، نال عامل الصهر الشاب أول جائزة في حياته علي تفانيه في

[1] – بلا يمينيين أو يساريين – نورسلطان نزاربايف – دار مولودايا جفاردينا للنشر **1991** – موسكو .

العمل ، حيث حصل علي لقب طليعة العمل الشيوعي ، وهو لقب فخري ، لكن رغم العمل الصعب والمضني ، لم يتأخر **نورسلطان** عن الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية الحادة والمتعلقة بتدهور ظروف المعيشة والترفيه لدي العمال .

كانت البلدة التي يسكن بها العمال تقع بعيداً عن المصنع ، ولم يجهد أحد نفسه في أن يفكر في كيفية توصيل العمال إلي مقر عملهم ، فكان الطريق يستغرق كل يوم نحو ساعتين من الوقت ، وفي السكن كانت برودة الجو لا تمكن الشباب من الحصول علي القدر الكافي من النوم ، فكان لا يتحمل كل هذا التعب إلا عنفوان الشباب ، ولم يكن يوجد أي سبل للراحة ، وكان الترفيه الوحيد هو المشاجرات بين البعض ، حيث كانت تكثر حوادث القتل وغيرها من الكوارث[1] .

ظل **نزاربايف** يتذكر الأحداث التي وقعت في **تيميرتاو** عام **1959** ، فانخرط في الأنشطة الأهلية ، حيث ألقي كلمة أمام المؤتمر العاشر لاتحاد الشبيبة الشيوعي بكازاخستان الذي عقد يومي **27** ، **28** فبراير **1962** ، والذي أوفد **نزاربايف** إليه ممثلاً عن اتحاد الشباب بمصنع قاراغندا للمعادن ، فإلي جانب الكلمات الروتينية لم يخش **نورسلطان** الذي كان يبلغ من العمر **21** عاماً أن يطرح من منصة المؤتمر القضايا الاشكالية التي تشغل شباب العاملين بصرح التعدين الكازاخستاني ، فقال " **إن المجمع ومدينة تيميرتاو لديهما مشاكل نقوم نحن بحل جزء منها بامكاناتنا الذاتية ، لكن الجزء الآخر لا نستطيع إيجاد حل له بأنفسنا ، وهو عدم توفر قصر للثقافة لكي يرفه الشباب عن أنفسهم ويمارسوا أنشطتهم الابداعية ، فالمواهب كثيرة ، كما يوجد خبراء في الرياضة ومدربون ، ولكن لا يوجد ستاد رياضي ، فباسم أعضاء اتحاد الشبيبة في مدينتنا أرجو مساعدتنا في حل هذه المشكلة** " .

---

[1] – بلا يمينيين أو يساريين – نورسلطان نزاربايف – دار مولودايا جفاردينا للنشر **1991** – موسكو .

واستكمل **نزاربايف** كلمته قائلاً " **أيضاً يريد الكثير من الشباب تعلم المزيد ، لكن الفرص المتاحة لذلك في مدينتنا لاتزال محدودة للغاية ، وقد صدر قرار من الحكومة بانشاء مصنع بالمدينة يكون بمثابة معهد فني تدريبي عالٍ ، ولكننا منذ عامين لا نري إلا كومة من الأوراق ، ولا تزال هذه المسألة لا تجد لها حلاً حتي يومنا هذا ، فلا وزارة التعليم العالي ، ولا الموازنة العامة ولا اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة بالجمهورية اتخذوا الاجراءات اللازمة للتعجيل ببناء المعهد ، لأننا في حاجة إلي هذه المؤسسة التعليمية ، فأعضاء الاتحاد والشباب في تيميرتاو يريدون منذ زمن أن يكون لديهم معهد تدريبي في مدينتهم ويتطلعون بأمل كبير إلي المنظمات والمؤسسات التي يمكنها حل هذه المسألة ، وقد آن الآوان لحلها** " .

واختتم **نزاربايف** كلمته أمام المؤتمر قائلاً " **نادراً ما يأتي إلينا رجال الابداع من شعراء وكتاب العاصمة ألماتي وغيرها من المدن الكبري التي تشهد قدراً من الحياة الثقافية ، إننا نود أن نقترح علي كتابنا وشعراءنا أن يزورونا لينقبوا عن أبطال معاصرين لأعمالهم بين صفوفنا ، وهناك رجاء آخر ولكن أرجو الأ تسيئوا فهمنا ، إننا لدينا في تيميرتاو عدد هائل من الشباب الكازاخ ، لكن ليس لدينا فتيات كازاخيات بالمرة ، لذلك اتوجه باسم زملائي إلي الفتيات من الطبيبات والمعلمات والمهندسات ، أدعوهم أن يأتوا إلينا في صرح الصناعات التعدينية ، وسوف يكون لهن جميعاً العمل الذي يناسبهن ، وسنكون جميعاً مسرورين للغاية ، فصفق الجميع تصفيقاً حاراً ، وعلت صحياتهم بالضحك في القاعة** " .

بعد مرور شهرين ، وخلال الفترة من **16 إلي 20 أبريل 1962** ، ذهب **نورسلطان** مع كل من **عبادولين** سكرتير لجنة اتحاد الشبيبة بالمصنع ، و**ميخنو** رئيس العمال بإدارة الانشاءات " **ستال ستروي** " كمندوبين لكازاخستان بالمؤتمر الرابع عشر لاتحاد الشبيبة الشيوعي بعموم الاتحاد السوفيتي ، الذي شارك فيه **نزاربايف** كممثل عن أعضاء الاتحاد والشباب بمصنع **تيميرتاو** ، وفي هذا المؤتمر تم انتخابه كمرشح لعضوية اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة بعموم الاتحاد السوفيتي ومن ثم بدأ الصعود المتسارع للعامل البسيط " **نزاربايف** " .

قدم السكرتير الأول للجنة المحلية لاتحاد الشباب في قاراغندا تقريره في الاجتماع العام الثاني والذي عقد في الثامن والعشرين من مايو **1962** لاستخلاص نتائج المسابقة الاشتراكية بين التجمعات الشبابية الشيوعية، حيث جاء في هذا التقرير : في مارس من هذا العام أجرت لجنة الاتحاد بمؤسسة الإنشاءات التعدينية " **كاز ميتاللورج ستروي** " مسابقة بين تجمعات الشباب الشيوعي تحت شعار " نحو المؤتمر الرابع عشر لإتحاد الشبيبة . **طاقة أيادي الشباب** " حيث شارك نحو **200** من فرق البناء الشبابية في مسابقة أهلية تنفيذاً لخطة تمتد لخمسة أشهر بمناسبة افتتاح مؤتمر اتحاد الشبيبة ، وأسفرت النتائج عن قيام ما يزيد عن خمسة آلاف من البنائين الشباب بمصنع قاراغندا للتعدين بتنفيذ الخطة بنجاح بحلول الأول من أبريل ، وكان يتم تنظيم مسابقات فرق وطلائع العمل الشيوعي والنشاط السياسي ، والتي كان لها الأثر البالغ لدي الشباب ، وهو ما تؤكده وقائع كثيرة من حياة طلائع شباب العمل الشيوعي ، فقد جاء **نزاربايف** من القرية إلي مجمع المعادن ، وخلال عام واحد أتقن مهنة الفرّان رغم صعوبتها ، وعندما أنتج المصنع أول دفعة من حديد الزهر كان **نورسلطان** يقف علي فرن الصهر ، وخلال ثمانية أشهر ترقي درجتين وصار فرّاناً ثانياً في أكبر مصنع للتعدين ، وهذا الشاب لا يتقن صهر الحديد فحسب ، وإنما يعد شخصية إجتماعية أيضاً ، فالمئات والآلاف من الشباب والفتيات ، الذين يحملون داخلهم السمات الأخلاقية لأفراد المجتمع الشيوعي ، يعيشون ويعملون بيننا وعمل هؤلاء الشباب المتميز وحياتهم يُعد مثالاً يُحتذي ، ويتعين علي اتحاد الشبيبة التوسع في الدعاية والترويج لنشاطهم .

نالت نجاحات **نزاربايف** المهنية انتشاراً واسعاً في الصحافة في ذلك الوقت حيث خرجت مقالات دورية عنه تحمل صوره وهو يرتدي قبعة العمل اللبادية ، وذلك في العديد من الصحف منها " **كازاخستانسكايا برافد** ، **لينينشيل جاس سوتسياليستيتشكايا قاراغندا** ، **اندوستريالنايا قاراغندا** ، **كومسومولیتس قاراغندي**

، **تيميرتاو سكي رابوتشي** " ، وخلال الفترة من **27 يوليو حتي 5 أغسطس 1962** ، أُفد **نزاربايف** في أول مهمة له خارج البلاد كمكافأة تشجيعية له ، حيث شارك ضمن الوفد السوفيتي في أعمال المهرجان العالمي الثامن للشباب والطلاب في العاصمة الفنلندية هلسنكي ، والذي شارك فيه مندوبون من أكثر من مائة دولة من جميع القارات ، وكان برنامج المؤتمر مكثفاً للغاية ، حيث ضم العديد من الجلسات العامة ولقاءات العمل والحلقات النقاشية والمناظرات ، وسعد **نزاربايف** مع أعضاء الوفد السوفيتي بالمشاركة في هذه الفعاليات حيث التقي بأقرانه من الخارج .

كان من أبرز تلك الفعاليات تلك المناظرة التي جرت بين الوفدين السوفيتي والأمريكي حول مزايا الشيوعية والرأسمالية ، وشارك **نزاربايف** في الحوار واستمع مناظروه إليه بهمة حيث أكد بكلام متقن ودعماً بالبراهين ومستدلاً بالأرقام والحقائق ، حتي أنهم ساورهم الشك أن المتحدث ينتمي إلي طبقة العمال البسطاء ، وما كان من **نزاربايف** إلا أن مد كفيه الخشنتين ليزيل شكوك مناظرية.

تم في نفس المهرجان لقاء مهم آخر مع **يوري جاجارين** أول رائد فضاء في العالم ، حيث سارعت صحيفة **كومسومولسكايا برافدا** بنشر تقرير مصور عن هذا اللقاء ، وكان قبل ذلك اللقاء بيوم واحد كان **نورسلطان** قد تسلم في احتفال كبير نيشان الشبيبة الشيوعية ، وبالطبع لاحظ رفاق **نورسلطان** من الشيوعيين الكبار همته كعامل طليعي وناشط اجتماعي ، وفي جلسة مكتب اللجنة الحزبية المحلية بمدينة تيميرتاو المنعقدة في **13 أكتوبر 1961** ، تمت الموافقة علي توصية من رائدي الانتاج **ياخوفيتوف** ، **وفيربتينيكوف** ، واستناداً إلي قرار اجتماع المنظمة الحزبية الأولية لعنبر أفران الصهر بمصنع قاراغندا في **3 أكتوبر 1961** وبعد انقضاء مدة الترشح المطلوبة وهي عام كامل ، صدر قرار اجتماع المنظمة الحزبية الأولية لعنبر الأفران بالمصنع في **15 نوفمبر 1962** ، بقبول **نورسلطان نزاربايف** ضمن عضوية الحزب الشيوعي السوفيتي بناء علي توصية **فيريتينيكوف وروبين وليخومانوف** ،

وفي **14 فبراير 1963** ، اعتمد مكتب اللجنة المحلية للحزب بمدينة **تيميرتاو** قرار اللجنة الحزبية الأولية ، وتسلم **نزاربايف** بطاقة عضوية الحزب ، والتي ظل يحتفظ بها حتي **أغسطس 1991** ، عندما اتخذ قراره الصعب بالخروج من صفوف الحزب بعد الأحداث المأساوية التي شهدها الاتحاد السوفيتي نتيجة الانقلاب غير الدستوري .

مـهـام ومـسـئـولـيـات :

كان عام **1962** مليئاً بالأحداث في حياة **نزارباييف** ، فبعد عودته من المهرجان العالمي للشباب ، بدأ أولي خطوات تأسيس أسرته الخاصة بالزواج من **سارة البيسوفنا كوناكايوفا** من أهالي مقاطعة قاراغندا ، والتي كانت تعمل مراقباً في نفس المصنع الذي كان يعمل به ، وجري حفل العرس في **25** أغسطس في جو شبابي متواضع ، لكنه بهيج بمقاييس ذلك الزمان في مقهي كومسومولیتس الصغير ، حيث ضم الحفل الأقارب والأصدقاء والزملاء ، وأنجب الزوجان نورسلطان وسارة ثلاث بنات " **داريجا** " عام **1963** ، " **ديناره** " عام **1967** ، " **عالية** " عام **1980** .

في نفس العام الذي تزوج فيه التحق **نزارباييف** بأحد المعاهد ، فقد اعتاد منذ طفولته أن يصل في كل أمر إلي أصله وجوهره ، لذا قرر أن يدعم ما اكتسبه في المصنع من مهارات مهنية بالنظريات العلمية ، ونجح في الحصول علي موافقة المصنع علي الالتحاق بالدراسة ، فالتحق بكلية التعدين بمصنع قاراغندا للهندسة فرع **تيميرتاو** قسم المعادن الحديدية ، حيث بدأ الدراسة بنظام الانتساب لمواصلة العمل بالمصنع ، ومع بداية فبراير **1964** انتقل إلي قسم الانتظام فتفرغ للدراسة تماماً .

بعد أن أنهي **نزارباييف** الدراسة بالفرقة الثالثة في أغسطس **1965** ونتيجة لإغلاق كلية التعدين بالمعهد ونقلها إلي معهد الهندسة التدريبي العالي الذي افتتح بمصنع المعادن ، انتقل **نزارباييف** إلي هناك ، حيث واصل الدراسة في نفس التخصص في القسم المسائي ، وفي نفس الوقت بدأ العمل كمراقب بعنبر الأفران بالمصنع وفي أغسطس **1966** صار يشغل وظيفة عامل غاز بعنبر الأفران ، ثم بعدها بقليل وظيفة كبير عمال الغاز ، وفي **15** يوليو **1967** ، أنهي نزارباييف دراسته بالمعهد بنجاح حيث حصل إلي جانب الشهادة رقم **367782** علي درجة مهندس تعدين وفقاً لقرار اللجنة العامة للامتحانات ، كما تخرج معه عدد من زملائه بالمصنع من بينهم " **كولباسا** ،

أوماشيف ، أسكييف ، ايسكاكوف " ، وغيرهم ، وظل **نورسلطان** يواصل ارتقاءه في ثقة وثبات علي سلم العمل الاجتماعي والأهلي .

قررت اللجنة الحزبية الأولية بعنبر الأفران في 17 **يوليو 1969** وخلال اجتماعها التقييمي انتخاب **نزاربايف** عضواً بمكتب الحزب بالعنبر ، وفي **20 يوليو** ترأس هذه المؤسسة بعد أن شغل منصب سكرتير مكتب الحزب ، وخلال ذلك النشاط المكثف لم يقطع علاقته باتحاد الشبيبة ، ففي **21 أكتوبر 1968** شارك في المؤتمر العام للجنة المركزية لاتحاد الشبيبة لعموم الاتحاد السوفيتي ، خلال احتفالها باليوبيل الذهبي والذي عقد في موسكو بمناسبة مرور **50** عاماً علي إنشاء الاتحاد .

كان مكتب اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة السوفييت قد قرر قبل هذا التاريخ بعام واحد ، وفي **31 أكتوبر 1967** ، أدراج اسم نزاربايف ضمن أوائل الفائزين بنيشان الشرف لاتحاد الشبيبة بعموم الاتحاد السوفيتي ، وهي الجائزة التي تأسست في **28 مارس 1966** ، وذلك بصفته أحد طلائع العمل الشيوعي ، وصاحب مبادرة السباق من أجل توفير الوقود ، ورئيس غرفة " **كشاف الشبيبة الشيوعية** " .

أُوفد **نزاربايف** مرة أخري إلي الخارج في **يونيو 1969** ، حيث زار جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية في جولة سياحية ، وكان برنامج الزيارة مكثفاً ، فإلي جانب التعرف علي المعالم التاريخية والثقافية ، زار **نزاربايف** ضمن مجموعة من الموفدين الكازاخستانيين مجمع أوستراف للتعدين ، وأجري لقاءات مع الكادحين من جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية ، وذلك بدعوة من اللجنة المركزية لنقابات العمال التشيكوسلوفاكية ، لكن هذه الرحلة الخارجية ، التي جرت بعد الأحداث المعروفة التي شهدتها جمهورية تشيكوسلوفاكيا عندما قامت القوات السوفيتية في **أغسطس 1968** بقمع المظاهرات التي عُرفت باسم " **ربيع براغ** " بعنف ودون هوادة ، وكانت أهمية الرحلة بالنسبة إلي **نزاربايف** أنه حصل علي فرصة للمقارنة بين مستوي المعيشة في الخارج وداخل وطنه .

ظهر في اللجنة المحلية للحزب بمدينة تيميرتاو في صيف عام **1969** ، سكرتير أول جديد هو **دافيدوف** ، الذي كان يبحث عن كوادر مناسبة للجنة ، فانتبه هو الآخر إلي **نزاربايف** ، وعرض عليه أن يرأس قسم الصناعة والنقل ، وكان هذا العرض يتماشي والواقع الفعلي وهي أن الأجهزة الحزبية والنيابية كان لابد أن تولي اهتماماً كبيراً بتنشيط العمل بمحطة قاراغندا لتوليد الكهرباء رقم **1** ، ومحطة الكهرباء والتدفئة رقم **1** بمصنع التعدين ، كما كانت في حاجة إلي التعجيل بتشغيل عنبر محولات الأكسجين التي تبلغ طاقتها **250** طن ، حيث لم يكن يستعمل في مصانع التعدين سوي محولات لا تزيد طاقتها عن **100** طن .

كان **نورسلطان نزاربايف** هو أنسب شخص لهذا العمل لعدة أسباب منها أنه كان يعرف بالشكل والاسم جميع القيادات وكبار الخبراء ، بل والعديد من صغار العمال ، كما كان لديه خبرة كبيرة في البنية التحتية لتقنية الانتاج ، ويحوز علي ثقة العاملين ، ويتمتع بقوة اختراق هائلة ، وبعد أن استشار **نزاربايف** زملاءه في العنبر ، قرر هذه المرة ألا يرفض العرض ، وفي **9 يوليو 1969** قرر مكتب اللجنة المحلية للحزب بمدينة **تيميرتاو** اعتماد تعيينه في هذا المنصب الذي شغله لمدة نصف عام ، وقد أبلي بلاء حسناً في المهمة الموكلة إليه ، ففي الاحتفال السنوي بذكري الثورة البلشفية قدم عمال معدات الحرارة تقريراً عن انجازاتهم ، حيث كانت أعمال الإنشاء والتركيب بعنبر محولات الأكسجين قد بلغت مرحلة النهاية .

وقع الاختيار مرة أخري علي **نزاربايف** ، حيث قررت لجنة اتحاد الشبيبة بمدينة تيميرتاو في اجتماعها العام في **20 ديسمبر 1969** انتخابه واعتماده في منصب السكرتير الأول لها ، وبناء علي ذلك قام مكتب لجنة الحزب في تيميرتاو في **9 يناير 1970** باعفائه من مهامه كمدير لقسم الصناعة والنقل ، وظل **نزاربايف** في منصبه الجديد حتي **يونيو 1971** ، وخلال تلك الفترة أُفد كمندوب لمقاطعة قاراغندا للمشاركة

في أعمال المؤتمر الثاني عشر لاتحاد الشبيبة الشيوعي لجمهورية كازاخستان الذي عُقد يومي **11** ، **12 مارس 1970** ، حيث انتخب عضواً باللجنة المركزية للاتحاد .

كان عام **1969** بمثابة نقطة تحول هامة في حياة **نورسلطان** ، الذي كان يبلغ من العمر في ذلك الوقت تسعة وعشرون عاماً ، فقد بدأ في ذلك العام مرحلة جديدة من حياته ، حيث انتقل من طبقة العمال ليدخل ضمن محترفي الإدارة من خلال اندماجه في العمل الحزبي والشبابي ، إلا أنه لم تنقطع صلته بالوسط العمالي ولم يبتعد عنه ، فمن خلال عمله علي أرفع وأوسع مستوي سياسي وإداري ، كان لزاماً أن يزداد ويتسع انشغاله بمشاكل هذا الوسط ، وذلك بمناقشتها من موقع رجل الحزب والدولة ، وحتي بعد عقود طويلة ، وهو في منصب الرئاسة ظل هذا من الأمور العادية والطبيعية بالنسبة له ، حيث كان يرتدي معطف العمال ليزور صرح الصناعة ومواقع الإنشاءات ، فيتحاور مع المدراء والمهندسين والعمال من واقع معرفته ببواطن الأمور بهذا الوسط .

تمكن مصنع قاراغندا من تنويع منتجاته بشكل كبير ، مع إدخال التقنيات الحديثة حيث صار المصنع ينتج الحديد الزهر والكوك والصلب المارتيني وصلب الأكسجين وألواح الحديد وصفائح الصلب علي الساخن ، وسعياً نحو مواصلة زيادة الطاقة الانتاجية تم تحويل المصنع إلي مجمع صناعي حيث أدمج مع مصنع كازاخستان للتعدين ،ومناجم **أتاسوسكوي ويوجنوتوبارسكوي ومكمن أليكسييفسكي للدولوميت** ، وفي عام **1970** كان **نورسلطان نزاربايف** من طلائع الانتاج وشخصيات الجمهورية الحائزين علي الميدالية التذكارية " **تقديراً للتفاني في العمل ، بمناسبة العيد المئوي لميلاد فلاديمير لينين** " ، ولم تقتصر مهارة **نزاربايف** في الأخذ بزمام المبادرة علي المؤسسات المحلية ، وإنما بدأ يرتقي إلي مستوي المقاطعة ثم الجمهورية بأكملها ، ففي عام **1971** وخلال الاعداد للاجتماع العام السادس للجنة اتحاد الشبيبة في تيميرتاو ، اقترح ضرورة الاستجابة لدعوة الرفيق **ليسوفينكو** الحائز علي وسام

البطولة في العمل الاشتراكي " **إلي التوفير في وقت العمل** " ، وطرح مبادرة " تنفيذ مهام الوردية في سبع ساعات " ، وقد تم الاعلان عن هذه المبادرة علي لسان اثنين من رؤساء العمال " **جوشينا من إدارة الإنشاءات الصناعية المتخصصة ، مورجالييف من إدارة إنشاءات الصلب** " فالتقطتها كافة المنظمات الشبابية بجميع أنحاء كازاخستان ، وصارت تسمي " **ساعة كازاخستان** " .

كان يتردد دائماً في الاتحاد السوفيتي شعار " **الحل دائماً في الكوادر** " ، وهو ما لم يكن غريباً أيضاً علي **نزاربايف** ، الذي صار اختيار الكوادر وتدريبها وتوزيعها بصورة جيدة وفعالة من أهم الأمور المهنية بالنسبة له ، وذلك في فترة مبكرة من حياته ، وقد احتوت المواد الأرشيفية علي أسماء العديد من رجال اتحاد الشبيبة في تيميرتاو الذين تعاون معهم **نزاربايف** وارتقي بهم بكل ما أوتي من سبل ، حيث وقع **نزاربايف** أسفل غالبية خطابات التوصية بالقبول ضمن عضوية الحزب الشيوعي السوفيتي ، ومنح الأوسمة والنياشين وتوجيه الشكر وقرارات صرف المكافآت التشجيعية المادية والمعنوية للموظفين المتميزين .

لقد أدي نضج **نزاربايف** مدنياً إلي جانب مهاراته المهنية وقدراته العملية إلي زيادة شهرته عاماً بعد عام ، والارتقاء به إلي ما يستحق من درجات أعلي في السلم الاجتماعي، حيث كانت الدولة معنية للغاية بتدعيم احتياطي الكوادر في كافة الأماكن من خلال إدراج أكبر عدد ممكن من مثل هذه القيادات الشابة التي تتسم بالنشاط وتحمل المسئولية ، ، وكان **نورسلطان نزاربايف** يلتزم بمبدأ الثقة والمسئولية في تعاملاته المهنية مع الناس ، الأمر الذي أدي في نهاية المطاف إلي تحديد مكانته الذاتية ، فأدي كل ذلك إلي ترقيته مجدداً في الوظيفة حيث تم انتخابه في **15 يونيو 1971** سكرتيراً ثانياً للجنة الحزبية بمدينة تيميرتاو .

تولي **نزاربايف** في هذا المنصب الجديد الاشراف علي مجالات الصناعة والإنشاءات العامة ، إلا أن نطاق عمله الفعلي كان يتعدي بكثير حدود مهامه الوظيفية ، فقد

ظل علي مدار عامين ونصف العام يتولي كافة المشاكل ذات الأولوية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمدينة ، وقد ظهر ذلك من خلال خطبه والقرارات والمستندات التي قام باعدادها . وإلي جانب ترأسه الغرفة السياسية والاجتماعية لمجمع المعادن في قاراغندا ، كان كثيراً ما يختفي لعدة أيام في مواقع الإنشاء .

اكتسب **نورسلطان** خلال عمله باتحاد الشبيبة موهبة المبادرة والحفاظ علي أعلي معدلات الانجاز في كافة مراحل العمل والتوجهات المنشودة ، ولم تكن هذه الموهبة لتمر دون أن تلحظها القيادات ، لذلك حاز في **8 يوليو 1971** علي الشهادة الفخرية من رئاسة مجلس السوفيت الأعلي بجمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية ، وفي **13 ديسمبر 1972** حصل علي وسام " **نيشان الشرف** " بمرسوم من رئاسة مجلس السوفيت الأعلي بالاتحاد السوفيتي تقديراً لمؤشراته العالية في الانتاج وتفانيه في العمل ، ولكن هذا النجاح الباهر في العمل تخلله بعض الحوادث المؤلمة في حياة **نزاربايف** كان أهمها وفاة والده عام **1971** عن عمر ناهز الثالثة والسبعين .

ظل **نزاربايف** خلال عام **1973** يتولي إدارة الغرف الخاصة بوحدات التشغيل بمصنع التعدين ، حيث كان يمثل عصب مهامه ، ومن الانجازات التي تمت في هذا المجال هو الانتهاء تحت اشرافه من إنشاء وتشغيل وحدة الدرفلة علي البارد في **18 مايو 1973** ، وفي نفس اليوم عقد الاجتماع العام للجنة الحزب بمدينة تيميرتاو الذي قدم فيه **نزاربايف** تقريراً حول " تعزيز الاشراف الحزبي علي الصناعة والإنشاءات العامة في ضوء قرارات جلسة **أكتوبر 1972** للجنة المركزية للحزب الشيوعي .

لم يكتف **نزاربايف** بمهامه الوظيفية المباشرة فظل يولي اهتماماً كبيراً لمشكلات التنمية الاجتماعية والثقافية للإقليم ، ولم يترك الفرصة لجذب أنظار السلطات المركزية بالجمهورية والمؤسسات الابداعية العامة إلي هذه المشكلات ، فقد وصل مجموعة من مراسلي صحيفة " **سوتسياليستيك قازاقستان** " من العاصمة ألماطي إلي مقاطعة قاراغندا عام **1973** ، للتعرف علي طبيعة العمل في عدد من

المؤسسات الكبري ، وخلال زيارتهم إلي تيميرتاو التقوا **نورسلطان نزاربايف** فكتب أحد الصحفيين عنه " **إن ما أذهلني في هذا الشاب الوطني هو سعة إطلاعه وفطنته فحتي الصحفيون الكبار الذين اعتادوا أن يكونوا حاضري البديهة وقفوا صامتين أمامه بعد أن جردهم من كل أسلحتهم بفراسته وإلمامه بأمور الحياة وأفكاره غير التقليدية** " .

فـي عـالـم الـسـيـاسـة :

جاء عام **1973** ليكون بمثابة نقطة تحول جديدة وهامة في حياة **نورسلطان نزاربايف** ، حيث انضم فعلياً وقانونياً إلي الصفوة الحزبية في البلاد ، وذلك بمهارته الكبري وفكره الاستراتيجي ومواهبه التنظيمية التي لا تدع مجالاً للشك تلك الصفات التي تجلت في عمله فكانت المبرر وراء التوصية بترشحه لمنصب أمين لجنة الحزب بمجمع قاراغندا للتعدين ، وطبقاً للتسلسل في هيكل الحزب الشيوعي السوفيتي كان هذا يُعد ارتقاء لعدة درجات في السلم الحزبي وتخطياً لعدد كبير من الدرجات والمستويات ، وقد تحول مجمع المعادن في قاراغندا إلي مشروع استراتيجي ذي أهمية كبري علي مستوي الاتحاد السوفيتي كله ، وكان أمين لجنة الحزب بالمجمع يدخل ضمن قائمة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ويُعتمد من قبل هذه اللجنة مباشرة ، وكان منصب أمين لجنة الحزب بالمجمع من المناصب ذات النفوذ ، لكنه كان بنفس القدر من المناصب التي تحمل أخطاراً كبيرة أيضاً ، فقد كان الأمين مسئولاً مسئولية مباشرة أمام القيادات السوفيتية عن حالة المجمع وكافة انجازاته واخفاقاته مثله في ذلك مثل مدير المصنع ذاته .

تم انتخاب **نزاربايف** لشغل منصب أمين لجنة الحزب بمجمع التعدين بقاراغندا ، حيث ظل في هذا المنصب حتي مارس **1977** ، وكان عدد العاملين بالمجمع في ذلك الوقت يزيد عن **30** ألف عامل ومهندس وموظف بينما كان يبلغ أعضاء المؤسسة الحزبية التي يرأسها **2500** عضواً ، فقرر **نزاربايف** أن تكون مهمته الرئيسية في منصبه الجديد هي معالجة المشاكل المتعلقة بتدهور الانتاج وزيادة نسبة الحوادث التي تؤدي إلي وقوع إصابات بين صفوف العمل ، فقد كانت الحوادث وتعطل دورة الانتاج تتكرر بشكل ملحوظ وكان يؤدي ذلك إلي انخفاض جودة المنتج وقلة تنوعه وتكرار التوقف عند توريد الطلبيات للمستهلك ، فعلي سبيل المثال بلغ عدد الحوادث التي وقعت بالمجمع خلال عام **1971** ، إحدي وثمانين حادثة أدت إلي ضياع **80**

الف طن من الحديد الزهر ، **48.4** ألف طن من الحديد الصلب ، **87** ألف طن من المدرفلات ، وغيرها من المنتجات الأخري .

ترجع كثير من تلك الحوادث إلي تسرب الكوادر بشكل كبير نتيجة عدم توافر أقل الظروف الملائمة للعمل والمعيشة ، وبالتالي انخفاض الكفاءة لدي الغالبية العظمي من المهندسين والفنيين والعمال ، وباصرار من **نورسلطان** تمت الموافقة علي خطة خاصة من التدابير لتحسين إعداد وتأهيل كوادر العاملين بالمجمع حيث كانت تقضي الخطة بإنشاء مدرسة فنية مسائية للتدريب في عدد من التخصصات مثل " **انتاج الكتل ، الانتاج الأكسجيني والمارتيني للحديد الصلب انتاج المدرفلات ، انتاج المعدات الميكانيكية لعنابر التعدين ، المعدات الكهربية آلات الرفع والنقل** " بطاقة **300** متدرب ، وكذلك افتتاح فرع لمعهد موسكو لتدريب القادة والخبراء بطاقة **50** متدرب .

منذ مجئ **نزاربايف** ، صار من التقليد أن يجري لقاءات يومية مع العاملين بالمصنع بحضور أعضاء إدارة المجمع واللجنة الحزبية واللجنة النقابية ولجنة اتحاد الشبيبة الشيوعي ، وكانت هذه اللقاءات تتم داخل العنابر مباشرة ، حيث كان يجري علي أرض الواقع دون رسميات زائدة عن الحاجة ، مناقشة المشاكل المتعلقة بالانتاج والمشكلات الراهنة مع إيجاد الحلول واتخاذ الاجراءات اللازمة علي الفور ، وبفضل تلك الاجتماعات الخاطفة تم التسلح بالكثير من الأفكار الجديدة القيمة والمقترحات الرشيدة التي ساعدت في إيجاد حلول فعالة لعدد كبير من مشاكل الانتاج ذات الأهمية ، إلي جانب ذلك فقد كان ما يشغل أمين لجنة الحزب بمجمع التعدين هو القضايا ذات البعد الاجتماعي ، مثل بناء المساكن والعيادات الطبية ورياض الأطفال والمنشآت الرياضية والصحية والثقافية والترفيهية وغيرها من المشروعات .

لقد كانت المهام الوظيفية للقائد الشاب جديدة في طابعها ، معقدة في هيكلها كبيرة في حجمها ، لذلك كانت تتطلب منه أن يزيد رصيده من المعارف النظرية والأدوات السياسية ، وكان لابد له من أن يرفع من كفاءته دون الانقطاع عن العمل والانتاج

، ومن ثم قام في عام **1973** ، بناء علي خطاب لجنة الحزب في تيميرتاو بالالتحاق بالدراسة بالمراسلة لمدة ثلاث سنوات بالمدرسة الحزبية العليا التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وهي واحدة من المؤسسات التعليمية القليلة في الاتحاد السوفيتي التي كان من الممكن الحصول فيها علي تأهيل إداري وسياسي عالٍ في البلاد ، والذي حصل عليه **نزاربايف** عام **1976** .

ورغم كافة الجهود التي بذلتها الإدارة واللجنة الحزبية بمجمع التعدين ، إلا أن هذه الجهود الذاتية لم تكن كافية لفك عقدة المشاكل التي تراكمت في هذه المؤسسة لأن معظمها كان يتكرر بصورة منتظمة وكان يرجع إلي أخطاء ارتكبتها الوزارات القطاعية بالاتحاد السوفيتي عند تصميم المجمع وبنائه وتخطيط العمل به ، وبالتالي لم يكن من الممكن تصحيح هذه الأخطاء إلا علي مستوي هذه الوزارات نفسها ، لأنها هي وحدها التي كانت تتخذ كافة القرارات المهمة .

أدرك **نزاربايف** ذلك وأخذ هو و**نيشينكو** مدير المجمع يحاولان في إصرار طرق أبواب المؤسسات المعنية علي مستوي الجمهورية والاتحاد السوفيتي ، واحاطتهما علماً بالوضع القائم في هذا الصرح الصناعي العظيم ، حيث كتب **نزاربايف** يشرح الصورة القاتمة للوضع القائم بالفعل في مجمع المعادن الأول بكازاخستان ولفت الانتباه إلي ضرورة إيجاد حل لعدد من المسائل التي تتوقف علي الأجهزة الرسمية علي مستوي الاتحاد السوفيتي والجمهورية ، فعلي مدار عدد من السنوات ظلت وزارة التعدين الحديدي السوفيتية تعمل علي تطوير المجمع دون رؤية مستقبلية محددة ، وارتكبت أخطاء كبيرة في المنشآت مما أدي إلي ظهور حالات من عدم التناسب ، وكانت النتيجة التراجع في تنمية قطاع الخامات والطاقة وأقسام الصيانة ، كما جاءت ميكنة بعض قطاعات الانتاج وتزويدها بالمعدات الآلية دون المستوي ، وبعد أن تجاهلت وزارة التعدين مجدداً مذكرة نزاربايف قرر التوجه بخطاب بهذا المضمون إلي **فلاديمير دولجيج** ، سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

السوفيتي ، الذي كان علي دراية عملية جيدة بخصائص هذا المجال بحكم كونه خبيراً متمرساً في التعدين وترأسه لسنوات عديدة مجمع نوريلسك للتعدين قبل توليه منصب سكرتير اللجنة المركزية .

تكلل إصرار أمين لجنة الحزب الجديد بالنجاح ، عندما وصلت لجنة تضم ممثلين عن الوزارات السوفيتية برئاسة فلاديمير دولجيج إلي مجمع قاراغندا في صيف عام **1974** لدراسة الوضع ، وبعد بضعة أشهر ونتيجة لعمل اللجنة تم استدعاء **نورسلطان نزاربايف** إلي موسكو لتقديم تقرير أمام كبير الأيديولوجيين بالحزب الشيوعي السوفيتي **ميخائيل سوسلوف** سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وأسفرت أعمال أمانة اللجنة المركزية عن صدور قرارها بتاريخ **12 ديسمبر 1974** بشأن **" عمل اللجنة المحلية للحزب الشيوعي الكازاخستاني بمدينة تيميرتاو ولجنة الحزب بمجمع قاراغندا للتعدين في مجال تعزيز نظام العمل التقني وتحسين ظروف الانتاج والأحوال الثقافية والمعيشية للعاملين بالمجمع "** ، وبعد ذلك أصدر مجلس الوزراء قرار يقضي ببناء **80** ألف متر مربع من المساكن بمدينة تيميرتاو سنوياً ، وإنشاء اثنين من رياض الأطفال بسعة **1660** طفل ، واثنتين من المدارس الفنية المهنية ، ومدرسة فنية للمصنع ، وقصر للثقافة ، وستاد رياضي سعة **15** ألف متفرج ، وحمام للسباحة ومركز صحي وقائي ، ومصيف علي الشاطئ الأيمن لبحيرة سمرقند ، وغيرها من المنشآت .

تذكر **نورسلطان** تلك السنوات التي شهدت طفرة في البناء والإنشاءات في تيميرتاو ، حيث اكتسب في تلك الفترة أول خبراته في بناء المشآت الاجتماعية الكبرى مما كان له عظيم الفائدة ، وفي فبراير **1976** كان **نزاربايف** ضمن المشاركين في أعمال المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، حيث أطلع في كلمته أمام المحفل قيادة الجمهورية وأعضاء المؤتمر علي التدابير التي اتخذتها لجنة الحزب بمجمع التعدين بالتعاون مع الإدارة للتسريع باستغلال معدات التعدين للنهوض

بالمستوي الفني وفعالية الانتاج وتحسين جودة المنتج ، وفي ذلك الوقت كان قد تم تشغيل اثنين من أفران الصهر عالية الطاقة ، ومحولين للأكسجين ، والوحدة **1700** لدرفلة الألواح علي البارد ، ومحطة كهرباء بخارية ضخمة ، ومجمع ورشة الكتل رقم **2** وغيرها من المنشآت الهامة ، كما كان من المخطط في المستقبل القريب تشغيل خط لانتاج الكتل وبطارية الكوك رقم **7** وعنابر الصاج ومقاطع الحديد المقوسة ، وعدد من المشروعات الكبري الأخري وكذلك كان يجري تباعاً حل المشاكل الاجتماعية[1] .

لم تكن هذه الانجازات أن تتم إلا بجهد كبير ، لأن كل خطوة كانت مصحوبة بالكثير من العراقيل ، لكن **نورسلطان** كان دائماً يدافع عن مجمع قاراغندا الذي كان عزيزاً إلي قلبه ، فأقدم في نهاية عام **1976** علي خطوة غير مألوفة بالنسبة لرجال الحزب والسلطة ، حيث شن هجوما بالنقد اللاذع علي تصرفات الوزارات القطاعية السوفيتية وبعض المسئولين من الطبقة العليا من خلال صحيفة برافدا التي كانت تُعد الصحيفة المركزية للاتحاد السوفيتي ولسان حال الحزب الشيوعي السوفيتي ، ففي مقال له بعنوان " **في عداد المتخلفين . ماذا يعوق جودة العمل بمجمع قاراغندا للتعدين** ؟ " أشار **نزارايف** بعبارات حادة إلي وقائع البيروقراطية والروتين والإهمال التي يتعرض لها المجمع من قبل هذه الوزارات[2] .

خلال تلك المرحلة بدأ ينضج في وعي الشاب الحزبي أول براعم إدراكه بأن جذور المشاكل تقع في مكان أعمق بكثير مما قد يتصور البعض ، وأنها تكمن في نظام الاقتصاد الموجه نفسه الذي يقوم علي مبادئ إصدار الأوامر الإدارية ، وقد قضي **نزارايف** في منصب أمين لجنة الحزب بمجمع قاراغندا للتعدين ثلاث سنوات

---

[1] – في قلب أوراسيا – نورسلطان نزارايف – دار أتامورا للنشر **2005** – ألماطي .

[2] – في عداد المتخلفين . ماذا يعوق جودة العمل بمجمع قاراغندا للتعدين ؟ – نورسلطان نزارايف – صحيفة برافدا – **29** ديسمبر **1976** .

ونصف ، كان كل شئ خلالها يشير إلي روح المبادرة والإصرار والمواهب التنظيمية والسعي نحو تحقيق نتائج محددة ، لذلك انتخب **نزاربايف** في مارس **1977** أميناً للجنة الحزب بمقاطعة قاراغندا لشئون الصناعة ، وفي ديسمبر من نفس العام تولي منصب السكرتير الثاني للجنة ، ومنذ ذلك الحين صار يندرج ضمن مهامه إلي جانب الإشراف علي تصنيع المعادن الحديدية ، التنسيق بين مجالات صناعات الفحم وانتاج المعادن غير الحديدية والطاقة وبناء الآلات .

نظراً لما كان يمثله قطاع استخراج الفحم من أهمية بالنسبة للإقليم ، فقد ركز **نزاربايف** في المقام الأول علي مسألة زيادة انتاج الفحم الذي كان يتراجع بصورة ملحوظة في ظل التنامي الكبير في صناعات التعدين والطاقة ولم يعد يلبي الطلب المتزايد علي هذا المصدر من مصادر الوقود ، وللتغلب علي هذا الوضع في أسرع وقت ممكن ، جمع **نزاربايف** فريقاً كبيراً من العلماء والخبراء وطلب منهم مراجعة العمل بمؤسسة " **قاراغندا أوغول** " لانتاج الفحم ، وأسفرت عملية المراجعة عن البدء لأول مرة في كازاخستان في استغلال مكامن الفحم في " **بورلينسكي** ، **شوباركولسكي** " بالنظام المكشوف .

كانت المشكلة الأخري التي يعاني منها قطاع الفحم بشدة هي كثرة الحوادث في المناجم بصورة لا يمكن السكوت عنها ، وكان أكثرها مأساوية ذلك الحادث المفزع الذي وقع بمنجم " **سوكورسكايا** " في فبراير **1978** ، وأودي بحياة **73** من العمال ، لذلك كان نزاربايف يولي أهمية خاصة بمراقبة إجراءات الأمان والسلامة لعمال الفحم ، حيث كان كثيراً ما ينزل بنفسه إلي أكثر الأماكن خطورة وتعرضاً للحوادث في أعماق المناجم ، للتعرف علي الأوضاع علي أرض الواقع.

أسفر إصرار **نزاربايف** ومثابرته عن البدء في حل مشكلة الإسكان التي كانت من أهم مشاكل القطاع حينذاك ، حيث كان الغالبية من أسر عمال المناجم يعيشون في بيوت خشبية وشقق مشتركة ، حتي أن بعضهم كان يسكن في ملاجئ تحت الأرض

، إلا أن **نزاربايف** استطاع من موقعه كسكرتير للجنة المقاطعة أن يستصدر من مجلس الوزراء السوفيتي قراره رقم **211** في **6** مارس **1980** بشأن " **الإجراءات الخاصة بمواصلة تنمية العمران وتحسين الظروف المعيشية والترفيهية والخدمية لدي أهالي المدن والقري بمقاطعة قاراغندا** " ، حيث كان قراراً هاماً من قبل الحكومة السوفيتية لأنه أعطي دفعة قوية لحركة التعمير بمركز الصناعات التعدينية وتنمية مقاطعة قاراغندا بالكامل .

أُصيبت أسرة **نزاربايف** عام **1977** بمصاب أليم ، إذ رحلت الأم الحنون ألجان للقاء ربها عن عمر يناهز اثنين وسبعين عاماً ، ورغم أن **نورسلطان** كان في زيارة لها قريبة قبل وفاتها بفترة وجيزة ، إلا أنه ظل يتملكه الحزن والشجن طيلة حياته علي أنه لم يكن بجوارها في اللحظات الأخيرة من حياتها ن لا سما أنه كان شديد الارتباط بها ، بينما كان هو بالنسبة لها أول فرحتها المحبب إلي قلبها .

أُنتخب **نورسطان نزاربايف** في ديسمبر **1979** أميناً للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني لشئون الصناعة والنقل والاتصالات ، فصار عملياً واحداً من القادة الأول في جمهورية كازاخستان السوفيتية الاشتراكية ، وفي ضوء خبرته في العمل والإدارة التي اكتسبها خلال عمله في أكبر صرح صناعي في كازاخستان ، كانت ترقيته إلي هذا المنصب تبدو ضرورية ومنطقية ، لكن علي ما يبدو كان لارتياح السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني دين محمد كونايف دوره أيضاً في هذا الشأن ، ذلك الارتياح الذي كان يرتكز علي التشابه بين أسلوبهما في العمل والمهنة ، فكلاهما من أسرة عاملة ، وكلاهما عمل بالتعدين ، وكلاهما شب وترعرع بالصروح الصناعية الكبري بوسط كازاخستان .

عاد **نورسلطان** مع أسرته إلي مسقط رأسه ألماطي ، وباتت سنوات العيش والعمل في تيميرتاو ومقاطعة قاراغندا في عداد التاريخ ، إلا أنه دائماً يتذكر هذه الفترة بكل حفاوة ، فقد كانت تيميرتاو بالنسبة له المهد ، ولذلك كان أول كتاب ألفه نزاربايف صدر عام **1985** ، كان بعنوان " **الوجه الفولازي لكازاخستان** " حيث تضمن تاريخ

إنشاء مجمع قاراغندا للتعدين وتطوره ، وتشكيل فريق العاملين به الذي كان يتسم بتعدد قومياته ، كما أنه عندما أُنتخب **نزاربايف** رئيساً لجمهورية كازاخستان السوفيتية في أبريل **1990** ، كانت تيميرتاو أول نقطة يقوم بزيارتها كرئيس للبلاد .

ظل **نزاربايف** في منصب أمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني ما يزيد عن أربع سنوات مكرساً هذه الفترة لتعزيز الامكانات الصناعية للجمهورية ، وعلي رأسها تطوير صناعة النفط والغاز والصناعات الكيماوية والآلات وإنتاج السلع الاستهلاكية الشعبية ، ولم تكن لديه خشية طرح القضايا الملحة أمام مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، ومجلس الوزراء السوفيتي ، وكان ينجح دائماً في حل تلك المشكلات ، فحاز بهذا علي الاعتراف كواحد من القادة العمليين ، كما نالت مجهوداته تكريماً رفيعاً من قبل الدولة حيث حصل علي وسام العمل الحمراء .

لم تكن المشاكل الكبري تشغل بال **نزاربايف** عن المشاكل الحياتية التي تهم المواطن العادي ، فخلال عضويته بمجلس السوفيت الأعلي لجمهورية كازاخستان السوفيتية في عامي **1980** ، **1981** ، في دورته العاشرة عن دائرة كوستاغان مركز ميركيه مقاطعة جامبول ، تمكن من إنشاء محطة مياه في قرية ميركيه التي كان يطالب بها أهالي القرية ، وقصر للثقافة بمزرعة " **بوبيدا** " التعاونية ، ومحطة للتزود بالوقود بمنطقة شيفاناق ، وكان كل ذلك بمعايير تلك الفترة بمثابة انجاز كبير ، لأن تنفيذ أي مشروع صغير أو كبير علي المستوي الإقليمي كان عادة لا يتم إلا بالتنسيق مع موسكو وبموافقة الأجهزة الفيدرالية .

أُنتخب **نزاربايف** في فبراير **1981** نائباً بمجلس السوفيت الأعلي بالاتحاد السوفيتي ، وعضو بلجنة التفتيش المركزية بالحزب الشيوعي السوفيتي وهي الجهاز المختص بمراجعة الأنشطة المالية لمؤسسات الحزب ، وفي ذلك الوقت كان الاتحاد السوفيتي

قد بدأت تتكشف فيه بوادر الانكماش والجمود التي أصابت كافة مناحي الحياة ، حيث انعكست هذه الظواهر السلبية علي الاقتصاد في المقام الأول .

كانت جذور المشكلة تكمن بشكل أساسي في عدم كفاءة الاقتصاد السوفيتي الذي كان يقوم علي مبادئ الإدارة المركزية ، لذلك بدأ يتخلف تقنياً عن الدول الرائدة في العالم في ظل تحول الاقتصاد العالمي في السبعينيات والثمانينيات إلي حقبة ما بعد الصناعة ، فقد كان اقتصاد ما بعد الصناعة يتسم بأولوية تطوير قطاعات التقنية المتقدمة والعلوم مثل الالكترونيات الدقيقة والبرمجيات وتقنية الاتصالات والإنسان الآلي والبيوتقنية وغيرها ، بينما كان الاتحاد السوفيتي يركز علي مجالات التعدين والصناعات الثقيلة ، وكانت الصناعات العسكرية تشغل مساحة كبيرة في هيكل الاقتصاد القومي حيث نما هذا القطاع نمواً مفرطاً في ظل الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والغرب فتقدم علي بقية القطاعات وخصصت له ميزانية هائلة .

كان من نقاط الضعف في الاقتصاد السوفيتي أنه كان يتطور بنظام التوسع بزيادة الانتاج عن طريق جذب المزيد من الموارد المادية والبشرية ، بينما كانت المعدات والآلات المستخدمة في المؤسسات العاملة تفتقر إلي التحديث ، وتعاني من الإهلاك المادي والمعنوي ، كما أن معدلات ادخال وسائل الميكنة لم تكن تلبي متطلبات العصر ، ففي منتصف الثمانينيات كانت العمالة اليدوية تبلغ نحو **50** مليون مواطن ، وكانت تشكل نحو ثلث العاملين بقطاع الصناعة وأكثر من نصف العاملين في البناء والتشييد وثلاثة أرباع عمال الزراعة ، وصارت السمة التقليدية للتنمية الاقتصادية انخفاض مستوي الانتاجية وتدني جودة المنتج النهائي ، وعدم التناسب بين هيكل الانتاج والاستهلاك والذي كان يتجلي في زيادة انتاج الصناعات الثقيلة التي كانت نسبتها تصل إلي ثلاثة أرباع الناتج المحلي الاجمالي ، والتي كانت تمثل بالتالي ربع اجمالي الناتج المحلي ، والنتيجة أن سمة العصر باتت هي العجز المزمن في الكثير من المواد الغذائية والصناعية بالنسبة للمواطنين .

كان من الأمور الحتمية انهيار الاتحاد السوفيتي نتيجة لتلك العوامل ، ولكن الانهيار تأخر بعض الوقت بسبب عائدات النفط التي انهمرت علي الدولة بعد أن واجه العالم أزمة واسعة النطاق في الطاقة في منتصف السبعينيات ، مما أدي إلي ارتفاع حاد في أسعار النفط ، فأصبحت صادراته تمثل مصدراً كبيراً للدخل بالعملة الصعبة التي استغلتها الدولة لشراء السلع الاستهلاكية ، وهو الأمر الذي أعطي تصوراً وهمياً بأن البلاد تعيش حالة انتعاش سلبي ، ومن ثم فقد غطي تصدير الموارد الطبيعية بشكل نهائي علي الوضع الاقتصادي من خلال التوسع في قطاعات التقنية المتقدمة ، والقيام بعملية إحلال وتجديد شاملة للقاعدة الانتاجية القائمة ، وزيادة انتاجية العمل عن طريق ادخال التقنية الحديثة ، ولذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن يطلق علي فترة الجمود أنها فترة الفرص الضائعة .

لقد كانت الحياة السياسية في تلك الحقبة تتسم بتنامي الجهاز البيروقراطي ممثلاً في رجال الحزب والسلطة الذين تحولوا إلي طبقة منفصلة ومميزة ، وكذلك الأزمة التي اعترت الأيديولوجية الرسمية التي كانت تزداد اختلافاً وتناقضاً مع الواقع ، وظهور حركة المنشقين وكان من نتيجة ذلك أن المجتمع السوفيتي في مطلع الثمانينيات كان يشعر باقتراب ونشر مبادئ الديمقراطية في الحياة السياسية والتغلب علي العزلة الدولية التي كان الاتحاد السوفيتي يعاني منها ، فقد كان مسار التاريخ في الاتحاد السوفيتي يتطلب ضرورة أن يفسح جنود الحزب المجال في القيادة العليا للبلاد ، ليحل محلهم أصحاب الكفاءات من ذوي التعليم العالي والخبرة الكبيرة ، الذين كانوا لا يتبعون المسلمات الأيديولوجية المجردة ، وإنما ينطلقون من مصالح المواطنين ذات الأهمية ، فكانت هذه هي أهم الأسباب التي دعت إلي تولي **نزاربايف** منصب رئيس الوزراء بجمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية .

إعـادة الـبـنـاء :

تم تعيين **نورسلطان نزاربايف** رئيساً لمجلس الوزراء بجمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية في **22** مارس **1984** ، وذلك عندما كان يبلغ من العمر **43** عاماً فأصبح بذلك أصغر رؤساء الحكومات سناً بجمهوريات الاتحاد السوفيتي ، وقد تزامن تعيينه في هذا المنصب عملياً مع بداية فترة إعادة البناء في الاتحاد السوفيتي حين أعلن **ميخائيل جورباتشوف** الأمين العام الجديد للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي عبر برنامجه لإعادة البناء " **بريسترويكا** " ، والعلنية " **جلاسنوست** " والتعجيل بالإصلاح ، فتلقي **نزاربايف** مثله مثل الشعب السوفيتي بأكمله هذه الخطوة بكل حماس ، باعتبارها مطلباً ضرورياً من متطلبات العصر ونبراساً يهتدي به في العمل من أجل مصالح البلاد .

جري لقاء شهير بين **نورسلطان نزارباف وميخائيل جورباتشوف** قبل تولي **نزاربايف** منصبه كرئيس للوزراء بجمهورية كازاخستان بفترة قصيرة ، حيث كان **جورباتشوف** يشغل وقتها منصب سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وفي هذا اللقاء سأله جورباتشوف : " **ما رأيك ؟ هل ظهرك قوي ؟** " ، **ثم أدرك مفسراً سؤاله قائلاً : " نحن في انتظارنا أوقات صعبة ، سيكون هناك ضغط ، وسيكون هناك صراع**" وكانت قناعة **نزاربايف** ومبادئه تتوافق مع الأفكار التي تتضمنها سياسة البريسترويكا حول ضرورة النهوض بالاقتصاد عن طريق ادخال عناصر السوق والمزيد من الشفافية في اتخاذ القرارات السلطوية ، وإقرار الإدارة الذاتية بالمؤسسات وتوسيع مشاركة العاملين في إدارة الانتاج والأنشطة الاجتماعية وتعزيز صلاحيات المجالس المحلية ، لا سيما أن **نزاربايف** الذي تشكل فكره في الستينيات إبان " **ذوبان الجليد** " الذي بدأه **خروشوف** ، والإصلاحات التي قام بها كوسيجين ، لم يكن مستجداً وإنما قائداً ناضجاً يفهم جيداً في التركيبة السياسية والواقع الفعلي للاقتصاد السوفيتي .

من خلال تحليله لوضع الصناعة والزراعة والنقل وقطاع الخدمات والضمان الاجتماعي ، والثقافة والتعليم والعلوم ، لاحظ **نزاربايف** جيداً التناقض العجيب بين البيانات الرسمية والاحصاءات الفعلية ، وازدادت قناعته بضرورة اتخاذ اجراءات جذرية للتعجيل بالتحول على مستوي جديد من إدراة الاقتصاد ، فقد كان وضع كازاخستان يزداد سوءاً بسبب عدم فعالية توزيع الانتاج بها ، ففي هيكل الاقتصاد السوفيتي كانت هذه الجمهورية مصدراً للمواد الخام فقط ، مما أسفر عنه الميل في مجال الصناعة نحو قطاع التعدين علي حساب انتاج السلع الاستهلاكية ، بالإضافة إلي ذلك أن حصة الصناعة في اقتصاد كازاخستان كانت أقل من متوسط معدلها علي مستوي الاتحاد السوفيتي .

كانت كازاخستان تصدر ثلثي انتاجها من المعادن غير الحديدية والمسبوكات وثلاثة أرباع الفحم وخامات المعادن الحديدية ، وما يزيد عن **90 %** من النفط الخام، ونصف انتاجها من الحبوب، وثلث انتاجها من اللحوم ، وما يزيد عن **20 %** من الصوف ، وكل ذلك بأسعار منخفضة لدرجة مبالغ فيها ، وفي نفس الوقت كانت كازاخستان مضطرة لاستيراد ما يصل إلي **95 %** من المعدات اللازمة للصناعات الخفيفة والنقل الحديدي ، وثلثي الآلات اللازمة لتقطيع المعادن ، **45 %** من منتجات التريكو والأقمشة القطنية ، **100 %** من احتياجاتها من السيارات والآلات الزراعية والأجهزة المنزلية ، وقطاع كبير من السلع الاستهلاكية ، وقد أدي عدم التكافؤ في التبادل التجاري السلعي إلي وضع كازاخستان في موضع الجمهورية التي تستحق الدعم ، مما قلل من شأنها بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

لقد كان هناك تفاوت كبير بين المدينة والريف ، وهو ما لفت إليه **نزاربايف** انتباه السلطة الفيدرالية أكثر من مرة ، فقد أشار في مكاتباته الرسمية إلي الوزارات الفيدرالية إلي " بحلول عام **1984** لم تتعد نسبة إتمام إنشاء المزارع التعاونية **4 %** وأكثر من ربع العاملين بالمزارع التعاونية ينقصهم المسكن ، ونسبة استيعاب أطفال

الريف في مؤسسات التعليم قبل المدرسي لا تتعدي **36 %** من إجمالي عدد الأطفال ، بالإضافة إلي ذلك فإن معدلات نمو الانتاج وانتاجية العمل علي مستوي الجمهورية كانت أقل بكثير مما كان مخططاً له ، بينما انخفض مردود رأس المال بنسبة **15 %** ، علاوة علي أن **50 %** من بين ما يزيد عن **300** مؤسسة صناعية تم تسليمها في السنوات العشر الأخيرة لم تصل إلي الطاقة الانتاجية المخطط لها .

لم يكن قطاع الزراعة أفضل حالاً من قطاعي الخدمات والانتاج الصناعي ، فقد أثقل القطاع الزراعي الديون علي أهم محاصيل الحبوب والانتاج الحيواني ، في الوقت الذي ترزح فيه المزارع التعاونية والمشتركة تحت وطأة الفساد وإهدار المال العام ، وفي قطاع البناء كان هناك مليارات الروبلات من الاستثمارات العامة التي لم يتم استغلالها ، فقد كان يتم تحويل أموال الموازنة العامة إلي بناء المنشآت الثقافية والترفيهية الفاخرة وتشييد أماكن الإقامة لكبار الموظفين في الحكومة علي مستوي فاخر جدا ، أما أقل القليل من الوحدات السكنية التي كانت تنفذ بالفعل ، فكان هناك ظلم كبير واستغلال للنفوذ في توزيعها .

بذل **نزاربايف** محاولات كبيرة للبدء في مناقشة هذه المشاكل الجادة علي مستوي قيادة الجمهورية بصورة غير رسمية ، إلا أن محاولاته كانت تواجه بعدم الفهم والحساسية السافرة ، بل وفي بعض الأحيان بالمقاومة العدائية ، وفي نفس الوقت كان رئيس الوزراء الجديد يري مواصلة السكوت علي هذه المشاكل وتجاهلها لم يؤدي إلا إلي تفاقم الوضع الذي كان يتطلب تحركات عاجلة وحاسمة ، إلا أنه في ظل ما كان سائداً من أجواء فتور الهمة والتمسك بالنهج القديم ظلت الوسيلة الوحيدة الممكنة لتحريك المجتمع هي النقاش الصريح الواسع النطاق .

جاءت الضربة العلنية الأولي للنظام المتجمد إبان المؤتمر السادس عشر للحزب الشيوعي الكازاخستاني الذي عُقد في فبراير **1986** ، فبعد التقارير المألوفة والعبارات البلاغية التقليدية التي كانت متوقعة ، وجه **نور سلطان نزاربايف** رئيس مجلس

الوزراء انتقادات حادة ومحددة الوجهة بشأن كافة مظاهر الجمود والظواهر السلبية التي أصبح من المستحيل القبول بها ، ورغم أن اسم القائد الأول للجمهورية لم يُذكر ولو مرة واحدة في كلمة رئيس الوزراء إلا أن بيت القصيد كان موجهاً له بالتحديد ، وسرعان ما اتخذت إجراءات الرد علي " **المتمرد** " ، حيث تعرض لواحدة من أشرس حملات الملاحقة ، فخلال الأسابيع الثلاثة التالية ، وكان قد تحرر ضده **53** شكوي تم التأكد من صحتها بكل دقة من قبل كافة اللجان ، وكلفت الأجهزة الأمنية بالتحقيق في ثروة **نزاربايف** والتأكد بشكل خاص مما إذا كان يسئ استغلال منصبه أو يستخدم أموال الدولة لتلبية احتياجاته الشخصية ، أو يتربح من وظيفته ، ولكن محاولة التشهير باءت بالفشل .

تعرض **نزاربايف** بعد عامين لهجوم مماثل من **جينادي كولبين** الذي حل بدلاً من **دين محمد كونايف** في منصب السكرتير الأول ، لكن **كولبين** لم يفلح سواء في ترويع **نزاربايف** أو التشهير به أو ابعاده عن الجمهورية ، من خلال ترقيته " **شرفياً** " ، فلجأ إلي التكتيك المجرب وهو استغلال علاقاته داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وجهاز المخابرات السوفيتي " **K G B** " ، لكن هذه المحاولة باءت أيضاً بالفشل ، فالصراع بين نزاربايف وكونايف كان عبارة عن مثال كلاسيكي من أمثلة صراع الأجيال بين الآباء والأبناء ، حيث كان أحدهما يمثل الماضي ، بينما كان الآخر يجسد الحاضر ، فقد كان **نزاربايف** يمثل الجيل الجديد من القادة والسياسيين الذين أبوا القبول بأن تصير كازاخستان حضانة للجمود ، ومخزناً للمواد الخام من الدرجة الثانية .

اتسم عام **1986** في حياة **نزاربايف** والشعب الكازاخستاني كله بأحداثه الدامية ففي **16 ديسمبر** ، ومن خلال المؤتمر التنظيمي العام للحزب الشيوعي الكازاخستاني تم إعفاء **دين محمد كونايف** من منصبه كسكرتير أول للحزب ، وحل بدلاً منه **جينادي كولبين** ، الذي كان يعمل قبل ذلك سكرتيراً أول للجنة الحزب بمقاطعة أوليانوفسك

الروسية ، ولم يكن له أي علاقة تذكر بكازاخستان ، ومن ثم سقطت شعارات إعادة البناء " **البيريسترويكا** " قبل أن تبدأ ، إذ تحولت علي أرض الواقع إلي النقيض تماماً ، أما بالنسبة للكازاخستانيين ، الذين عبروا علي لسان أبنائهم عن رفضهم لهذه التجربة من التجارب المتكررة من تبديل الكوادر ، فقد كان هذا بمثابة بداية لفترة فاصلة أطلق عليها بين عامة الشعب " عام **1937** الثاني " .

خرج شباب كازاخستان في **17 ديسمبر** في تظاهرة سلمية بميدان العاصمة ألماطي للتعبير عن استياءهم من قرار المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بتعيين سكرتير أول جديد للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، رافعين شعارات " **نحن مع السياسة القومية اللينينية ، لكل شعب الحق في انتخاب رئيسه ، كفي إملاءات ، هناك إعادة بناء فأين الديمقراطية** " ، وطالب المتظاهرون بالنظر في مسألة انتخاب سكرتير أول من بين قيادات الجمهورية ممن هم علي دراية ومعرفة جيدة بخصوصياتها ، بعيداً عن انتماءاتهم القومية .

قُوبلت التظاهرة السلمية بالقمع الشديد ، وكانت احتجاجات مماثلة قد اندلعت أيضاً في مدن " **قاراغندا ، طالدي قرغان ، أرقاليق ، كوكشيطاو ، بافلودار ، شيكمنت طالغار ، ساري أوزيكيه** " ، حيث عمت المظاهرات عشر مقاطعات في أنحاء الجمهورية ، وبعد فض الاحتجاجات بالقوة بدأت محاكمة المشاركين بها فصدرت بحق الكثيرين منهم أحكام وصلت في عدد من الحالات إلي حكم الإعدام وبدأت المحاولات لفهم أسباب ما شهده شهر ديسمبر من أحداث ، فكانت الغلبة في البداية للتقييم أحادي الجانب والسطحي ، الذي صنف ما حدث تارة علي أنه تمرد عشوائي ، وتارة أخري علي أنه مؤامرة من قبل القوميين .

كانت الأحداث في واقع الأمر نتاجاً للعديد من التناقضات الاجتماعية والسياسية التي تراكمت في الجمهورية علي مدار عقود من الزمان ، مثل التراجع الكارثي في عدد المدارس القومية ، وتضييق الخناق علي اللغة الأم والديانة والثقافة التقليدية

لدي الكازاخ حتي صارت هذه المكونات علي هامش الحياة الاجتماعية وانتشار البطالة بين الشباب ، ونقص السلع الغذائية والصناعية الضرورية ، لذلك كان من المنطقي تماماً أن يكون هناك أثر سلبي للممارسات الساذجة وقصيرة النظر من قبل السلطة المركزية ، التي أرسلت رجلاً من الخارج ليتولي منصب القائد الأول للجمهورية ، فصبت بذلك المزيد من الزيت علي النار ، ثم جاءت اللحظة التي انفجر فيها الاستياء من المشاكل الحادة التي لا تحصي والتي ظلت تتراكم أمداً طويلاً .

خرجت أهمية أحداث ديسمبر خارج إطار الشأن الداخلي للجمهورية ، حيث تبعها اضطرابات في مدينة **سومغاييت في أذربيجان** ، **تبليسي عاصمة جورجيا** ، **باكو عاصمة أذربيجان** ، **فيلينوس عاصمة ليتوانيا** ، فكشفت الستار عن الأزمة التي كانت تواجهها المنظومة الاشتراكية العالمية برمتها ، وفي الساعات الأولي من المظاهرات خرج أعضاء مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني إلي جموع الشباب بالميدان موجهين لهم النداءات والنصائح ، لكن هذه المحاولات الرامية إلي بدء الحوار لم تكلل بالنجاح ، لأن السلطات الرسمية في موسكو لم تبد اهتماماً صادقاً برغبات ومطالب المتظاهرين ، ولم تسع لإيجاد حلول ترضي كافة الأطراف ، حيث استأثر رجال السلطة المركزية لأنفسهم بحل كافة القضايا وعزلوا القيادات المحلية عن المشاركة في إدارة الجمهورية .

لقد منع المسئولون الذين جاءوا من موسكو القيادات المحلية من التدخل في الوضع القائم بالميدان ، حيث كان لديهم شكوك في استغلال تلك القيادات هذه الأحداث لتحقيق مآرب خاصة ، ومما كان يثير الفزع تلك المقترحات التي كانت تتوالي من الميدان الواحد تلو الآخر بطرح ترشيحات لشغل مناصب السكرتير الأول للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، حيث ضمت قائمة المرشحين كلا من " **أويلبيكوف** ، **موكاشيف** ، **نزارباييف** " ، **كما تضمنت القائمة أيضاً** " **ديميديمكو** ، **ميروشخين موروزوف** " ،

وغيرهم ، حيث كانت هذه الأسماء التي جاءت في نداءات مكتوبة بخط اليد ، تشير في الواقع إلي أن المتظاهرين لم يكن لديهم أي اعتراض علي أن يتولي منصب القائد الأول بالجمهورية رجل من قومية أخري ، ولكن بشرط أن يكون من أهالي كازاخستان ، لكن رغم كل ذلك تقرر فيما بعد اللعب بورقة " **النزعة القومية الكازاخية** " ، التي أثارت القلق بعد ذلك في جميع أنحاء البلاد وفي تلك الأيام كان قادة موسكو لا يتكلمون إلا بلغة انعدام الثقة والتعالي ، ولا يتحدثون إلا بنغمة تفوح بالمهانة وإملاء الأوامر ، وعند اعتماد السكرتير الأول لم تأخذ القيادة العليا للحزب برأي الكوادر المحلية ، مما يثبت بالدليل القاطع أن الأسماء المقترحة لشغل هذا المنصب لم ينظر فيها ولم تناقش لا علي مستوي أعضاء اللجنة المركزية ، ولا علي مستوي مكتب اللجنة المركزية .

عمت أنحاء الجمهورية موجة من ممارسات القمع السياسي ، ففي **يوليو 1987** أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قرارها بشأن " **عمل المؤسسة الحزبية بجمهورية كازاخستان في التربية الأممية والوطنية للكادحين** " ، ذلك القرار الذي ألصق عملياً بالشعب الكازاخي بأكمله تهمة النزعة القومية ومع رحيل **جينادي كولبين** في **ربيع 1989** ، وضع **نورسلطان نزاربايف** التوصل إلي إلغاء هذا القرار في مقدمة أولوياته كسكرتير أول للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، فصار يطرح أمام المكتب السياسي ورئيس الدولة السوفيتية ميخائيل جورباتشوف مسألة تبرئة الشعب الكازاخي وكازاخستان من التهم التي ألصقت له ظلماً وبهتاناً .

ألقي **نزاربايف** خطاباً قوياً في الاجتماع العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الذي عُقد في موسكو يومي **19** ، **20 سبتمبر 1989** ، دافع فيه عن شرف شعبه ، فأقنع الحضور بالأدلة والبراهين الدامغة ، حيث قال في خطابه : " **إن القرار يتضمن عبارات ليست باطلة فقط ، وإنما مهينة أيضاً للشعب ، فهناك علي سبيل المثال مفهوم (النزعة القومية الكازاخية) ، لكن هل من الممكن لأي شعب بشكل عام أن يتسم بهذه السمة**

غير الانسانية ؟ إنني متأكد أن الإجابة لا . وأنا إذ أعبر عن رأي أعضاء الحزب الشيوعي ودوائر الرأي العام بالجمهورية ، فأرجو من اللجنة المركزية إعادة النظر في هذه البنود الخاطئة بالقرار ، والتي تمس شرف الشعب الكازاخي وكرامته ، وتلقي بظلالها علي طابعه الأممي " .

كان نتيجة لتلك الجهود أن صدر في **18** مايو **1990** قرار خاص من المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، بشأن " **عمل المؤسسة الحزبية بجمهورية كازاخستان في التربية الأممية والوطنية للكادحين** " ، والذي نشر عام **1990** ، بالعدد السادس من صحيفة " **أخبار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي** " ، وقد جاء في البند الثاني من القرار الجديد " **الإقرار بأن ما جاء في القرار من وصف أعمال الاخلال بالأمن العام ، التي شهدتها مدينة ألماطي في ديسمبر 1986 ، بأنها مظهر من مظاهر النزعة القومية الكازاخية يعد خطأ** " ، وبذلك أسفر الثبات والإصرار علي المطالب والتحركات المحددة من قبل **نزاربايف** ، والتي عززها نشاط المجتمع الكازاخستاني متعدد القوميات ، عن إعادة النظر في القرار الجائر وفقدانه قوته .

أُعيد النظر بعد ذلك في محاكمات العديد من الذين أُدينو بغير حق من المشاركين في انتفاضة ديسمبر **1986** ، حيث أُخلي سبيلهم من محبسهم ورد إليهم اعتبارهم وفي نفس الوقت بدأ **نزاربايف** في اتخاذ تدابير نشطة لنشر استقرار الأوضاع داخل الجمهورية ، فدعا في خطبه إلي وضع التقييم الموضوعي لأحداث ديسمبر وتحدث عن ضرورة الامتناع عن نشر المواد الصحفية القائمة علي معلومات غير مؤكدة والتي تثير ضجة لا حاجة للبلاد بها ، وكان دائماً **يقول أنه لا يصح اشباع العزة القومية لقوم علي حساب إهدار هذه العزة لدي قوم آخر** ، وقد كانت كلماته تتضمن دعوة بعيدة النظر من جانبه فحواها أنه لا داعٍ للتفتيش في الماضي واضمار الأمور التي من شأنها تأجيج الصراعات ، بل يجب تضافر الجهود الصحية بالمجتمع من أجل مستقبل كريم لجميع المواطنين .

كان أبلغ وأدق تقييم سياسي لأحداث ديسمبر **1986** ، هو ما جاء علي لسان **نزاربايف** في **5** سبتمبر **1992** خلال لقاء الشباب الكازاخي والقيرغيزي بمركز جامبيل بمقاطعة ألماطي ، حيث قال " **كانت هذه الأحداث بداية عهد جديد ، فهي لم تكن انتفاضة شعب ضد آخر ، بل كانت أول تعبير عبر به الملايين من الساعين نحو الحرية عن رفضهم لظلم النظام الشمولي ، فقد كانت أول اختراق ديمقراطي حققته الشعوب التي أفاقت من غفلتها في الاتحاد السوفيتي السابق بأكمله ، وكان فتياننا وفتياتنا هم أول نغمات رياح التغيير الجديدة التي أتت بالحرية التي طال انتظارها ، ليس لكازاخستان فحسب وإنما للعديد من شعوب أوروبا وآسيا ، فقد وقف هؤلاء الشباب العزل يدافعون عن براعم الديمقراطية الوليدة ، لذا لا يسعنا إلا أن نقدم كل التحية والإجلال للشباب الكازاخي بروحه البطولية علي مر الزمان** " .

قبيل الاحتفال بمرور **20** عاماً علي أحداث سبتمبر **1986** ، وفي عام **2006** ، جرت مراسم تدشين النصب التذكاري " **فجر الاستقلال** " في وسط مدينة ألماطي وألقي **نزاربايف** كلمة قال فيها " **منذ عشرين عاماً مضت تجمع شبابنا هنا لكي يعبروا عن رفضهم القاطع لسياسة الاستبداد التي ينتهجها النظام الشمولي ، فقد قرر هذا النظام أن الكازاخي لم ينجب زعيماً فأرسلوا لإدارة شعبنا رجلاً لا يفقه شيئاً عن تاريخنا وثقافتنا ولغتنا وعقيدتنا فأثار ذلك حفيظة شبابنا الذين صدقوا حينها العلنية والديمقراطية التي أعلنها جورباتشوف في عام 1985 ، فخرج هؤلاء الشباب ليعبروا عن رفضهم ، ولم يكن هذا دليلاً علي الشجاعة فحسب ، وإنما كان علامة من علامات نضج روح المواطنة لدي هؤلاء الشباب ، وجميعنا يعلم النهاية التي آلت إليها هذه المظاهرة الشبابية التي بدأت سلمية وبلا أي نية للصدام ، لقد تعرض المتظاهرون للضرب والإهانة ، ثم بعد ذلك الملاحقة وانتهاك الحقوق وأشد ممارسات القمع ، والآن أصبح كل ذلك في ذمة التاريخ ، ومن التاريخ نستقي الدروس ونتحرك علي أساسها للأمام ، وهذا النصب التذكاري هو من ناحية رمزاً للمعاناة والدماء التي سالت في مقاومة المنظومة الشمولية ، ومن ناحية أخري هو رمز لمستقبل كازاخستان المشرق** " .

رأس السلطة السياسية :

تم انتخاب **نورسلطان نزاربايف** سكرتيراً أول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني في **22 يونيو 1989** ، حيث شكل هذا التاريخ بداية لمرحلة انتقالية في تاريخ كازاخستان ، وقد أرسلت موسكو لهذه المناسبة خصيصاً الرفيق **تشيبريكوف** عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الذي قال في كلمته أمام المؤتمر العام الخامس عشر للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني : **" لقد بحث المكتب السياسي للجنة المركزية من كافة النواحي مسألة الترشح لشغل منصب السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، حيث أخذ في الحسبان كافة الآراء بما في ذلك آراء أعضاء مكتب اللجنة المركزية ، وفي النهاية توصلنا إلي النتيجة التالية : توصية أعضاء مؤتمركم هذا بانتخاب الرفيق نورسلطان أبيشيفيتش نزاربايف سكرتيراً أول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، وأعتقد أنه لا داعي لأن أسرد عليكم السيرة الذاتية للمرشح المقترح ، فهي معلومة لديكم بحكم عملكم المشترك معه ، فقد اكتسب نزاربايف خبرة كبيرة خلال عمله هنا في الجمهورية ، ويعلم جيداً ماذا تم فيها وماذا يتعين عمله ، مستقبلاً لتعميق وتطوير عملية إعادة البناء بالجمهورية بنفس الهمة والثبات ، لذا أناشدكم مساندة توصية المكتب السياسي بشأن انتخاب الرفيق نورسلطان نزاربايف سكرتير أول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني .**

كان الكثيرون من أعضاء المؤتمر قد وصفوا **نورسلطان نزاربايف** بأنه أحد المهندسين الرئيسين لإعادة البناء في كازاخستان ، وركزوا في كلماتهم أمام المؤتمر علي أنه قد تعلم في مدرسة الحياة الكبري ، وانصقل جيداً في بوتقة العمل والسياسة ، فصار زعيماً بمعني الكلمة ، وقد كانت من الكلمات التي تركت انطباعاً كبيراً هي كلمة دروجين ، أحد شيوخ العاملين بالتعدين في تيميرتاو الذي قال : **" إنني أعرف نورسلطان نزاربايف من ثمانية عشر عاماً ، وخلال السنوات العصيبة التي مر بها مجمع قاراغندا للتعدين في مرحلة انشائه ، كان نزاربايف يعمل لدينا سكرتيراً للجنة الحزبية وأنا من العمال ، وهو من رجال الحزب ، ولكن لم يكن بيننا أية حواجز بالمرة ، فقد كان مكتب سكرتير الحزب**

مفتوحاً في كل الأوقات ولكل الناس ، رغم أن مكان عمله لم يكن في الأغلب بالمكتب وإنما في عنابر المصنع الملتهبة بلظي الأفران ، أريد ببساطة أن أقول لكم . كعامل . إن هذا الرجل يسهل معه العمل وتحقيق الانجازات .

جري لأول مرة في تاريخ المؤتمرات العامة للجنة المركزية تصويت سري مغلق شارك فيه **158** من أعضاء اللجنة المركزية ، وأسفر التصويت عن حصول **نزاربايف** علي تأييد **154** صوتاً ، ورفض أربعة أصوات ، ثم اعتمد المؤتمر نتيجة التصويت السري ، منهياً بذلك انتخابه سكرتيراً أول للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني ، وكان **نزاربايف** آخر من تحدث في المؤتمر فقال : " **إنني أدرك تماماً كامل المسئولية الملقاة علي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني وعليّ شخصياً في هذه اللحظة الانتقالية في تاريخ بلدنا وجمهوريتنا ، فالمواطنون السوفيت يعقدون جميعاً الأمل علي البيريسترويكا في حل العديد من المشكلات الكبري ، سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ، بما في ذلك في مجال العلاقات بين القوميات التي كانت في فترة الجمود عرضة للتكتيم أو الصمت ، ولعل الأحداث التي وقعت مؤخراً توضح مدي صعوبة هذا النوع من المشكلات ، لكن تم بالفعل تحديد الطرق اللازمة لحلها ، والآن علينا أن نعمل بصورة أنشط لانجاز ما خططنا له ، وموقفي من هذه القضايا معروف للجميع ، وقد أوضحت هذا الموقف في خطابي أمام المؤتمر الأول لنواب الشعب بالاتحاد السوفيتي ، وأود أن أؤكد أنني سأظل ثابتاً علي منهجي في ترجمة هذا الموقف إلي واقع عملي** " .

جاءت بداية نشاط **نزاربايف** في منصب القائد الأول لجمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية في ظروف غير ملائمة بالمرة ، إذ كانت الجمهورية تعيش حينها فترة درامية فاصلة ، حيث كان مصير استقلال الجمهورية ومستقبل شعبها علي المحك ، فسياسة **البيريسترويكا** التي بدأها **جورباتشوف** لم تحقق الآمال الكبيرة المرجوة منها ، وعلي رأسها تعافي الاقتصاد وتحسين الأحوال المعيشية للمواطنين ، فقد ظلت الأزمات الاقتصادية تتفاقم بصورة حادة حتي نهاية الثمانينيات ، كما ازداد تراكم المشكلات الأخرى التي يصعب حلها والتي تتعلق بالخلافات بين السلطة

الفيدرالية المركزية والجمهوريات ، والأزمة الأيديولوجية التي كان يعاني منها الحزب الشيوعي السوفيتي ، وتفاقم العلاقات بين القوميات وزيادة التوتر الاجتماعي بين فئات المجتمع .

دخلت كازاخستان كغيرها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي مرحلة " **ديمقراطية الوقفات الاحتجاجية** " ، وصار السخط الاجتماعي لدي المواطنين يتحول أحياناً إلي صدامات عشوائية كما حدث في مدينة جانا أوزين ، وأحياناً أخري إلي اضرابات كما حدث في المؤسسات الصناعية الكبري في عدد كبير من المقاطعات ، بالإضافة إلي أن الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت كان قد بدأ يشهد حالات خطيرة من الصدام بين القوميات والعرقيات في منطقة **ما وراء النهر وأوزبكستان** ، **وبريدنيستروفيه بجمهورية مولدوفيا ومنطقة البلطيق** .

ركز **نورسلطان نزاربايف** في ظل هذا الوضع الصعب والمتناقض ، بصفته القائد الأول للجمهورية علي حل المشاكل الرئيسية بالأجندة وهي تنفيذ برنامج الاصلاحات الاقتصادية الجذرية ، ودقة توزيع المهام بين السلطة الاتحادية المركزية والجمهورية ، وتعزيز الاستقرار الاجتماعي والوفاق العرقي ، وقدم **نزاربايف** خلال المؤتمر الأول لنواب الشعب بالاتحاد السوفيتي عرضاً مفصلاً ومدعماً بالأدلة والبراهين لرؤيته للمشاكل وسبل حلها ، حيث تضمن برنامجه اثنتي عشر نقطة مترابطة تتطلب حلولاً عاجلة .

كان هذا الخطاب الذي ألقاه **نزاربايف** في موسكو وأمام قيادة السلطة الاتحادية يُعد من ضرب الجرأة المفرطة ، حيث كانت لا تزال تتمتع بسطوة كبيرة وخلال فترة عضويته بمجلس نواب الشعب بالاتحاد السوفيتي خلال الفترة من عام **1989** إلي عام **1991** ، أثبت **نزاربايف** جدارة كبري ، وبرز بفكره السياسي الثاقب والمسئول والمدافع عن مصالح جمهوريته ، الأمر الذي جعل مجموعة من نواب الجمهوريات الاتحادية ، وجمهوريات الحكم الذاتي تقدمت بمبادرة إلي المؤتمر لترشيح **نورسلطان**

نزاربايف لمنصب نائب رئيس الاتحاد السوفيتي ، ثم بعد ذلك طرح هذا الموضوع أكثر من مرة ، وبعد سنتين ، وفي عام **1991** عُرض علي **نزاربايف** منصب رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، إلا أن هذا التدهور الحاد في اقتصاد البلاد ، وتفكك العلاقات الاقتصادية بين الأقاليم السوفيتية ، واستمرار عدم التناسب الرهيب في تنظيم عملية الانتاج والتوزيع بين هذه الأقاليم نتيجة الممارسات المتناقضة من قبل السلطة الفيدرالية ، كل ذلك لم يوقف حالة الفوضي المتزايدة التي باتت تهدد بانتشار الفقر بين كافة أطياف الشعب ونقص السلع والمواد الغذائية .

اتخذ **نزاربايف** تدابير حاسمة للوصول إلي استقرار الانتاج ، والتغلب علي اعتماد اقتصاد الجمهورية علي انتاج المواد الخام ، وتدعيم العلاقات الاقتصادية الأفقية داخل الاتحاد السوفيتي ، لكن في ظل سياسة الإملاء الكامل من قبل السلطة المركزية ، التي لم تكن ترغب أحياناً في تقديم أية تنازلات للجمهوريات الاتحادية حتي ولو كان ذلك في للصالح العام وفي ظل عدم الفصل بين صلاحيات هذه الجمهوريات والمركز ، كانت محاولات إصلاح الاقتصاد ومصيرها جميعاً إن لم يكن الفشل فالتأجيل لأجل طويل ، وهذا هو ما كان وراء حدة المناقشات التي دارت في الاتحاد السوفيتي حول المعاهدة الاتحادية الجديدة .

كان **نورسلطان** أحد المنظرين الرئيسيين لفكرة التحول إلي مستوي جديد من العلاقات المتبادلة بين الجمهوريات والمركز الفيدرالي ، حيث أكد مراراً أن التعجيل بتوقيع المعاهدة الاتحادية ليس هدفاً في حد ذاته ، وإنما هو الشرط الأول لحل العديد من المشاكل ، فالسلطة المركزية والمؤسسات الفيدرالية تحديداً هي المسئولة عن ظهور الكثير من بؤر الكوارث البيئية وعلي رأسها **بحر آرال ومنطقة ميدان التجارب النووية في سيميبالاتينسك** ، وذلك بسبب طريقة التعامل غير المسئولة ، بل وأحياناً الإجرامية من قبل الوزارات والهيئات الفيدرالية التي كان يتبعها مباشرة نحو **90 %** من المؤسسات الصناعية في كازاخستان ، وبطبيعة الحال اصطدم

نزاربايف في هذه المسألة بمقاومة شرسة وقوية من قبل البيروقراطية الفيدرالية ممثلة في رجال الحزب المركزي وقادة قطاع الصناعات العسكرية والوزارات والمؤسسات الفيدرالية وغيرها ، لكنه كرجل واقعي كان يدرك جيداً أن لا رجعة للوراء .

كان **نزاربايف** يعي جيداً ثمن القضية ، لذا بعد أن ماطل المركز في إعداد مشروع المعاهدة الاتحادية ، طرح مبادرة بصياغة نموذج كازاخستاني لهذه المعاهدة ، وكان قد استعرض بالتفصيل أهم الأفكار التي يتضمنها هذا النموذج في خطابه الذي وجهه إلي شعب كازاخستان عبر التلفاز ، حيث قال : **" إننا نبدأ بناء حياتنا علي أساس جديد هو اتحاد الدول ذات السيادة ، وجوهر هذا الاتحاد واضح تماماً وهو أن تحصل الجمهوريات علي حق خاص بامتلاك واستغلال والتصرف في كامل ثرواتها القومية الموجودة داخل أراضيها ، وتتضمن الأراضي وحقول المواد الخام والمياه والمجال الجوي إلي غير ذلك من الموارد الطبيعية ، وكافة الامكانات الاقتصادية والعلمية التي تعد الأساس المادي لسيادة الدولة ، أما الاتحاد نفسه فسيقوم علي مبادئ الطواعية والمصلحة المتبادلة والشراكة العادلة بين الجمهوريات ، وبالطبع ستفوض الجمهوريات حسبما تري بعضاً من الصلاحيات للأجهزة الجديدة التي ستنشئها لإدارة الاتحاد ، ويُقصد هنا مجالات النشاط الاقتصادي التي تتطلب بحكم طبيعتها إدارة موحدة علي مستوي البلاد ، مثل البحوث العلمية الأساسية والبرامج الدفاعية وشبكة الطاقة الموحدة والطاقة الذرية والنظم الفضائية .**

وجدت الأفكار المبدئية التي أعلنها **نزاربايف** حول تحديث اتحاد الجمهوريات السوفيتية اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً تأييداً واسعاً من رجال السلطة ودوائر الرأي العام ، لذلك لم يكن من قبيل الدهشة أن دخل **نزاربايف** ضمن صفوف الساسة الأكثر نفوذاً وتأثيراً في الاتحاد السوفيتي ، وصار يتمتع بشهرة كبيرة بين فئات الشعب ، وقد وضع **نزاربايف** المشكلات البيئية علي رأي أولويات سياسته الاستراتيجية ، ومن بينها كارثة **بحر آرال ، وإرث ميدان سيميبالاتينسك للتجارب**

النووية ونقص الموارد المائية وتآكل مساحة الأراضي والنفايات الصناعية ، إلا أن كل هذا لم يكن إلا جزء قليل من قائمة المشاكل التي واجهتها كازاخستان .

كان الكفاح من أجل إحياء منطقة الآرال يشغل مكانة خاصة في هذه الأجندة ، ولم يكن **نزاربايف** ينطلق في هذا الشأن من الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، وإنما كان ينطلق أيضاً من منطلق الأهمية التاريخية والإنسانية لمنطقة شواطئ بحر آرال ووادي نهر سيحون بصفتها الوطن القديم للشعوب المعاصرة التي تقطن وسط آسيا ، والتي كانت تتسم بنهضة اقتصادية وثقافية كبيرة ، وكان صيتها ذائعاً في إقليم أوراسيا برمته من أدني الشرق إلي أقصاه .

تم بمبادة من الرئيس **نزاربايف** عام **1993** ، تأسيس " **الصندوق الدولي لإنقاذ بحر آرال** " ، والذي ضم كل من **كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان** ، كما اقترح تنفيذ مشروع دولي واسع النطاق لضبط مجري نهر سيحون والحفاظ علي القطاع الشمالي من بحر آرال ، وبفضل جهوده في هذا المسار بدأ في كازاخستان في مطلع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين تنفيذ البرنامج الوطني لإنقاذ الآرال بدعم مالي من البنك الدولي للإنشاء والتعمير حيث تم في إطار البرنامج تطوير مجري النهر بهدف زيادة جريان الماء به كما تم إنشاء **سد قوقارال** عند إلتقاء الآرال الأكبر والآرال الأصغر ، مما أدي إلي رفع منسوب المياه بالآرال الأصغر وبالتالي خفض نسبة الملوحة بمياهه والبدء في إحياء الثروة السمكية .

كانت نتيجة تلك الجهود أن عادت أمواج الآرال لترتفع مرة أخري علي الساحات الضخمة التي أزالت منها الرياح أطنانا من عوالق الملح والأتربة ، وبدأ الوضع البيئي في المنطقة يتعافي شيئاً فشيئاً ، وشهد النشاط الاقتصادي والاجتماعي تنمية ملحوظة ، وعاد إلي المنطقة أهلها بعد أن غادروها في يوم من الأيام ، وهكذا نجحت محاولة كازاخستان في إعادة الحياة مرة أخري إلي منطقة الآرال التي كانت تحتضر ، حتي أن الخبراء الغربيين وصفوا هذا النجاح بالمعجزة .

كانت مشكلة العلاقات بين العرقيات من أهم القضايا الأخري الي وضعها **نورسلطان نزاربايف** في مقدمة أولوياته ، حيث شهد أواخر الثمانينيات من القرن العشرين تنامياً ملحوظاً في النزعة العرقية ونهضة كبيرة في الوعي الذاتي القومي بين كافة شعوب الاتحاد السوفيتي السابق ، فبعد عقود من الحظر بدأ الناس يتحدثون صراحة عن المشاكل الملحة للتنمية القومية ، مثل التبعات الوخيمة الناجمة عن الثقافة البديلة التي كانت سائدة في عموم الاتحاد السوفيتي وفقدان الذات القومية والعادات والتقاليد ، وخطر اندثار اللغات الأم ، إلا أن هذه المسألة قد مرت في كازاخستان في تلك الأجواء النفسية والمعنوية غير البسيطة التي نشأت بعد أحداث ديسمبر **1986** ، فقد كانت العلاقات المتبادلة بين أطياف الشعب الكازاخستاني متعدد القوميات لا تزال تعاني من التوتر ، ولم تكن الجراح التي أصابت النفوس البشرية جراء عميات القمع الانتقامية من قبل النظام الشمولي قد إلتأمت بعد .

أدي " **قانون اللغات** " لجمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية الصادر في ديسمبر **1989** إلي تخفيض حدة التوتر في العلاقات بين القوميات ، كما ساعد علي تعزيز الاستقرار داخل الجمهورية ، حيث كان **نزاربايف** علي اقتناع بأن النهضة الحقيقية للأمة الكازاخية لا يمكن أن تتحقق إلا بالتزامن مع التنمية القومية والثقافية للأعراق الأخري التي تدخل ضمن شعب كازاخستان التي تأسست عام **1995** ، وبدأ الكثير من المجموعات العرقية في إحياء الأوصال مع أوطانهم الأصلية والتي كانت قد تقطعت منذ زمن ، بما في ذلك مجموعات **الألمان والكوريين والبولنديين والليتوانيين وتتار القرم والترك الواياخ والقاراتشاي والبلغار واليونانيين وغيرهم** ، ممن جاءوا إلي كازاخستان في وقت من الأوقات بطريق النفي بالقوة .

ولما كانت كازاخستان هي البقعة الطبيعية والأصلية للجنس الكازاخي ، فقد بدأت في جمع الشتات من الكازاخ الذين تناثروا في مختلف أنحاء العالم ، وكانت المؤسسة المركزية المسئولة عن ذلك هي الجمعية الدولية للكازاخ ، التي تأسست

عام **1992** برئاسة **نورسلطان نزاربايف** ، حيث كان أول زعيم من زعماء كازاخستان السوفيتية يتخلي عن الأفكار التقليدية للأيديولوجية الشيوعية الرامية إلي معاداة وازدراء الأديان ، فعمل علي نشر الاتجاه للتدين وتعزيز وتوسيع دور الوعي الديني والمؤسسات الدينية في الحياة العامة ، ولهذا الغرض التقي في **25** سبتمبر **1989** بلفيف من رجال الدين ، **منهم قاضي مسلمي كازاخستان نيسانبايف ، ومدير أبرشية كازاخستان وألماطي التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية الأسقف يفسيني ، وكبير كهنة المجلس العام للإنجليين المعمدانيين لمنطقة كازاخستان جوريلوف ، وكبير القساوسة بكنيسة السبتيين اليوم السابع بالجمهورية فيلجوشا وغيرهم ،** ودارت حوارات خلال هذا اللقاء اتسمت بالصراحة وسادها التسامح ، واقترح **نزاربايف** في نهاية اللقاء عقد مثل هذه اللقاءات بشكل دوري .

الفصل الثاني
مفكر من طراز القادة

كان الرئيس **نورسلطان نزاربايف** يؤمن بأهمية العلم في تقدم الأمم والشعوب ، ولذلك واصل دراساته الجامعية والأكاديمية ، من أجل صياغة الخبرات العملية في شكل نظريات علمية يبدعها الفكر الانساني ، وينقلها للأجيال التالية ، فقد حصل علي درجة الدكتوراه والفلسفة في العلوم الاقتصادية ، وكان موضوع الرسالة " **إمكانات التوفير في موارد الخامات . كازاخستان نموذجاً** " من قسم " **الاقتصاد والتخطيط وتنظيم إدارة الاقتصاد الوطني وقطاعاته** " أكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي موسكو ، الاتحاد السوفيتي ، في **15 يونيو 1990** ، كما حصل علي درجة دكتوراه العلوم في الاقتصاد ، وكان موضوع الرسالة " **استراتيجية التوفير في استهلاك الموارد في ظل إقرار وتنمية معاملات اقتصاد السوق** " من قسم " **الاقتصاد والتخطيط وتنظيم إدارة الاقتصاد الوطني وقطاعاته** " ، الأكاديمية الروسية للإدارة ، موسكو ، روسيا الاتحادية ، في **29 ديسمبر 1992** ، ومن ثم فقد كان **نزاربايف** ينتمي عملياً إلي طبقة العمال ، وواقعيا كان ينتمي إلي طبقة المفكرين والمنظرين البارزين ، ولذا فقد كان من ثمار ذلك الفكر أن طرح نظريات وأفكار عديدة لمواجهة العديد من المشكلات ، سواء علي المستوي الوطني ، أو الإقليمي والدولي .

عندما كان الرئيس **نزاربايف** يطرح أفكاره ونظرياته ، كان علي يقين بأن تلك النظريات والأفكار لن تلقي التأييد والترحيب الكامل فور طرحها ، لأن مثل تلك الأفكار والنظريات تحتاج إلي وقت حتي يتم دراستها ومعرفة مدي أهميتها وفائدتها ، وكذلك كان شأن المفكرين والعلماء الذين قدموا نظريات وأفكار كانت في حينها لا تلقي الترحيب ، ولكن الأيام والسنوات أثبتت صحتها وأهميتها للبشرية .

ولذلك فعندما أعلن **نزاربايف** عن أفكاره المتعلقة بالنظرية الاقتصادية العالمية لم يضع في حساباته أن تلك الأفكار سيتم تنفيذها خلال شهر أو سنة ، ولكنه كان علي يقين بأن العالم سينضج في يوم ما ليصل إلي مقترحاته وسيقتنع المجتمع

البشري علي كوكب الأرض بنظرية العملة فوق الوطنية ، فقد حدث ذلك عندما طرح فكرة تأسيس مؤتمر التعاون وتدابير بناء الثقة في آسيا ، ومؤتمر زعماء الأديان العالمية والتقليدية ، فقد كان الرئيس **نزاربايف** قد طرح فكرته عن مؤتمر التعاون وتدابير بناء الثقة في آسيا لأول مرة في الدورة السابعة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة في عام **1992** ، ثم تحول عن جدارة إلي آلية فعلية للأمن الجماعي علي المستوي القاري ، ومع بداية عام **2011** كان هذا المنتدي يضم **20** دولة تشغل **90 %** من الأراضي الاسيوية ، ويبلغ عدد سكانها نصف سكان الكرة الأرضية ، وقد أثبتت الأيام الحاجة إلي هذا المنتدي ، ففي إطاره يكتسب الحوار السياسي بين الدول الآسيوية زخماً قوياً ، ولا تريد كازاخستان التوقف عند ما تم إنجازه في هذا المجال ، حيث تعتزم توسيع المنتدي ليشمل القارة الآسيوية بكاملها ، وأن يشكل المؤتمر نواة إنشاء منظمة مسئولة عن الأمن في آسيا .

وضع الرئيس **نزاربايف** العديد من النظريات ، وطرح الكثير من الأفكار المتعلقة بإيجاد حلول لبعض القضايا والمشكلات ، سواء علي المستوي الوطني داخل كازاخستان، أو علي المستوي الإقليمي والدولي ، ومن هذه النظريات والأفكار : .

- **الطريق الخامس .**
- **الإصلاحات الرئاسية .**
- **مفاتيح حل الأزمة .**

الـطـريـق الـخـامـس :

علي الرغم من وجود آمال عريضة في تحسن الوضع العالمي الحالي ، إلا أنه قد اتضح أن بداية القرن الواحد والعشرين مليئة بالأخطار والتحديات التي يمكن وصفها بأنها أزمة حضارية عامة ، وتبدو هذه الأزمة كأزمة هيكلية حيث تبدو بوادر أزمات أخري في مجالات الانتاج والطاقة والبيئة والغذاء ، وكذلك أزمات اجتماعية وعسكرية سياسية ، وفي كل هذه الأزمات توجد الأزمة الاقتصادية العالمية ، التي ترجع إلي الخلل في البنية العالمية للنظام المالي .

مصادر الأزمة وطرق علاجها :

يتمثل السبب الأساسي للأزمة العالمية الراهنة في الخلل الجيني في عملات احتياطي النقد العالمي ، وقد سبق أن قمت في بداية شهر فبراير **2013** بمحاولة لتحديد هذا الخلل في مقالة " **مفاتيح الأزمة** " ، التي تم نشرها بالجريدة الروسية " **روسيسكايا جازيتا** " ، حيث قد تبين أن الخلل يتمثل في النظام المتبع لإصدار وتداول العملات في العالم ، والذي لا يلتزم بأي من المعايير الشرعية والديمقراطية ومعايير المنافسة والكفاءة ، والرقابة من جانب المستخدم .

يرتبط كل هذا بشكل طبيعي مع أحد العيوب الرئيسية الأولية والذي يتمثل في أن كل العملات في العالم تنتمي إلي طبقة قديمة من أدوات التقييم الوهمية ، فلا يمكن اليوم لأي عملة من عملات احتياطي النقد أن تقدم تقييماً حقيقياً ، ولا أن تقيس أو تبادل أو أن تعكس القيمة الحقيقية للسلع والخدمات .

لقد كانت كازاخستان تدرك جيداً أن جذور الأزمة تقع خارج كازاخستان بمسافة وأنها تنبع من العيوب المنهجية التي يعاني منها النموذج القائم في الاقتصاد العالمي ، لذلك انضمت كازاخستان بفاعيلة إلي النقاش الدولي الدائر حول أسباب الأزمة الاقتصادية وسبل التعجيل بالتغلب عليها ، فخلال منتدي الأعمال الكازاخستاني الهندي في يناير **2009** ، أيد **نزاربايف** لأول مرة ضرورة ادخال

عملات عالمية جديدة وتغيير المبادئ المعمول بها في إدارة النظام المالي العالمي حيث أن مستقبل العالم يتوقف بشكل مباشر علي وجود عملة دولية عادلة وعامة للجميع ، علي أن تتولي الأمم المتحدة إصدار تلك العملة ، وتتولي الرقابة عليها لجنة تتشكل خصيصاً لهذا الغرض .

شرح **نزاربايف** رؤيته بشأن تلك العملة في منتدي دافوس الاقتصادي أواخر يناير **2009** ، خلال لقاءاته مع رؤساء الدول الأخري وكبار الخبراء الدوليين ، كما تحدث عن العملة العالمية الموحدة بشئ من التفصيل في مقالة له في صحيفة **روسيسكاياجازيتا** في **2** فبراير **2009** ، تحت عنوان " **مفاتيح حل الأزمة** " ، ورغم أن موضوع العملة الدولية فوق الوطنية كان قد أثير قبل ذلك أكثر من مرة ، إلا أن الحديث عنها من قبل **نزاربايف** قد جاء وقت الأزمة الاقتصادية العالمية لذلك أثارت المبادرة صدي واسع ، وصارت محل نقاش من قبل كبار الخبراء العالميين .

كان الخبراء الروس من أوائل من استجابوا للمبادرة ، حيث أرسل أعضاء أكاديمية العلوم الروسية " **بوجومولوف** ، **بيتراكوف** ، **جلازييف** " خطاباً جاء فيه " **إن المقترحات التي تضمنتها المقالة حول إصلاح المنظومة الدولية للعلاقات النقدية والمالية ستكون بلا شك محل دراسة جادة ، ليس في بلداننا فحسب ، وإنما أيضاً في الدوائر العلمية والمالية ودوائر الأعمال في العالم ، فالقضايا التي تم طرحها تعد أساسية لوضع التصميم الجديد للنظام النقدي والمالي العالمي ، فمعالجة هذه القضايا بروح الشراكة العادلة وذات المنفعة المتبادلة تعد هي الطريق الصحيح الوحيد في البحث عن سبل للخروج من الأزمة المالية والاقتصادية العالمية** .

خلال منتدي أستانا الاقتصادي الثاني الذي عقد تحت عنوان " **الأمن الاقتصادي لإقليم أوراسيا في منظومة المخاطر العالمية** " ، في مارس **2009** ، تحدث **نزاربايف** عن الأفكار والرؤي قيد التصميم المتعلقة باشكالية منطقة الاتحاد السوفيتي السابق ، فالدول الأعضاء في التجمع الاقتصادي الأوروآسيوي يجب عليهم أن يبدأوا علي

أرض الواقع في إقامة اتحاد للتكامل النقدي والمالي ، حيث يمكنهم في إطاره إدخال وحدة فوق وطنية غير نقدية لتسوية الحسابات والمدفوعات حتي لا يتأثر سعرها بتذبذبات العملات العالمية ، وقد طور **نزاربايف** أفكاره في عدد من المقالات منها " **ليس هناك بديل له في المستقبل طويل الأجل** " ، نشر في صحيفة ازفستيا **19 مارس 2009** ، " **الطريق الخامس** " صحيفة ازفستيا **22 سبتمبر 2009** ، وكذلك أصدر عدد من الكتب منها : .

" استراتيجية تأسيس المجتمع بعد الصناعي وشراكة الحضارات ، استراتيجية التحديث الجذري للمجتمع العالمي وشراكة الحضارات ، الاستراتيجية البيئية الشاملة للتنمية المستدامة في القرن الحادي والعشرين " ، والتي صدرت خلال الفترة من عام **2008** إلي عام **2011** ، والتي طرح فيها أفكاراً هامة للنظرية الاقتصادية العالمية .

إن جوهر الخروج من الأزمة العالمية يكمن في حتمية التحول الذي طال انتظاره منذ زمن طويل ، والذي لا مفر منه هذا التحول الذي يقضي بالتحرر من العملات التي عفا عليها الزمن ، واستخدام أدوات مالية نوعية جديدة يمكن من خلالها تقييم القيم الحقيقية للسلع والخدمات ، ويمكن لهذا الابتكار **الجيو . مالي** وحده أن يؤدي إلي تجديد جذري تدريجي للعالم يقوم علي أهداف وقيم ومعان جديدة .

بلا شك في أن نشوء طبقة جديدة من العملات العالمية أصبح حتمياً وسوف تعتمد عليها البشرية تدريجياً عاجلاً أم آجلاً ، سيكون هناك طلب عليها من النخبة المالية المزدهرة في العالم بل ومن أكثر الدول تقدماً لتنفيذ هذا الابتكار **الجيو . مالي** ، ولا يمكن إيقاف هذه العملية ، إذ أن قاطرة التقدم تسير ولن يمكن ايقافها .

ومع ذلك ، وحتي الآن ، ليست كل القوي في العالم علي استعداد لقبول هذا الرأي المتعلق بمستقبلهم ، ولذلك فإنه توجد مجموعة كبيرة من الوصفات للخروج من هذه

الأزمة ، فهي ممتدة من الطرق المختلفة لحماية مصالح النخبة المالية القائمة ، التي تترك ساحة الأحداث ، إلي تعزيز مصالح من يذهب ليحل محلها ، مما سيؤدي حتماً إلي إنشاء مراكز فوق وطنية لإصدار عملات من الطبقة الجديدة ، وفي عالم اليوم دوائر من النخبة العالمية والوطنية يتم اختبار ووضع مختلف الوصفات لعلاج الأزمة العالمية الحالية ، وفي رأيي أن هناك خمسة طرق رئيسية للخروج من الأزمة العالمية وهي كالتالي :

الطريق الأول : الانتظار السلبي للقاع :

وهي وصفة علاج قديمة كانت مناسبة تماماً للاستخدام في حالات الأزمات الدورية ، وتستخدم بتوسع أيضاً في يومنا هذا ، ولكن ما مدي مناسبتها لعلاج الأزمة العالمية الحالية ؟ فلهذه الأزمة سمة أساسية مختلفة .

فهذه الأزمة أزمة نظام العالم بأسره وهي قائمة علي أسس مكرره عفا عليها الزمن ، ولعملة احتياطها عالمي أصابه الخلل ، فكودها الجيني قد أهلك منذ زمن بعيد كل مصادر نموها ، ولن يكون " **قاع** " الأزمة الحقيقي بمثابة انتهاءاً للإنهيار وبدءاً للنمو ، ولكن يجب أن يكون ذلك بالعلاج الكامل للسبب الرئيسي لها .

إن ترجمة وصفة الانتظار السلبي " **للقاع** " في العادة يكون كما يلي : " **نحن لا نعرف حتي الآن أساساً للمرض الجديد ، ولكن نقترح عليك التعامل معه باستخدام علاج لأمراض قديمة** " ، فهل يمكن أن تعالج هذه الوصفة السبب الرئيسي الكامن وراء هذه الأزمة ؟ وهل ستقوم بتغيير الكود الجيني ؟ بالطبع لا . ثم ، وإلي أي مدي هي مناسبة للتطبيق بواسطة المعالجين والمنقذين ؟

من السهل التنبؤ بنتيجة مثل هذه " **الوصفة** " ، فنحن لا نقوم بتغيير أي شئ ونظل في انتظار السقوط إلي " **القاع** " ، واقفين بشكل سلبي لاستمرارنا في استخدام الدولار (**أو اليورو**) في المقايضة مع بعضنا البعض ، كما يمكن للموجة الثانية أو الثالثة من الأزمة العالمية أن تقوم بتصفير الاحتياطي النقدي العالمي ، وأصول

معظم بلداننا ، وسيؤدي ذلك إلي انهيار أنظمتنا الصناعية والتكنولوجية الوطنية ، ولكن أيضاً إلي تدمير البنية الأساسية الوطنية ، وإلي قيام الاضطرابات الاجتماعية ، وما يمكن أن ينجم عنها من كارثة سياسية لا رجعة فيها .

يمكن إدراك القاع الحقيقي فقط عند بدء معالجة الأسباب الجذرية للأزمة ، إن الأحكام المتصاعدة اليوم بخصوص " **الوصول إلي القاع** " ، و " **بدء الخروج** " مبنية علي الأرجح علي أساس وهم الخروج من الأزمة .

الطريق الثاني : مبادلات النقد الأجنبي :

مقايضة العملات ، هو مزيج مكون من معاملتين متعاكستين من معاملات التحويل للمشاركين في سوق العملات لتبادل مبالغ محددة من عملة بلد بعملة بلد آخر البعض من جيران كازاخستان يستخدمون مع شركائهم في آسيا وأوروبا والولايات المتحدة .

في الواقع يمثل هذا الأمر خياراً جيداً للتخفيف من وقع هذه الأزمة ، ولكن ما مدي فعاليته استراتيجياً ، أو علي الأقل في المدي المتوسط ؟

لقد بدأنا في التحول إلي مبادلات العملة وفي العمل باستخدام عملات بعضنا البعض ، ولكن بعد الموجة **الثانية** أو **الثالثة** من الأزمة ، فإن الدول الرائدة في العالم سوف تسعي إلي البقاء علي قيد الحياة ، ولو علي حساب انهيار العملات الأجنبية الأخري ، فالقوي يسعي إلي البقاء علي حساب الضعيف حتي عندما تخر قواه بشكل كارثي ، هذا قانون الغابة في القرون الحديثة .

نتيجة لذلك ، فسوف تتعقد تقنية المقايضة لدرجة تجعلها مستحيلة التحقق ، عندئذ سيكون من المحتم علينا ، للحفاظ علي التجارة المتبادلة ، واستخدام عملة وطنية معينة لبلد آخر ، أو التحول إلي المقايضة ، وهو ما سيؤدي بنا حتماً إلي النتيجة المحزنة للطريق **الأول** وانتظار السقوط إلي " **القاع** " . هل سيساعد طريق " **مبادلة**

النقد الأجنبي " هذا علي معالجة السبب الجذري للأزمة العالمية ، وكوده الجيني " **العليل** " ؟ أو ربما تحقق هذه الطريقة علي الأقل شئ جديد ؟ بالطبع لا .

إن مبادلة العملات هي في الواقع ليست سوي مقايضة عادية تماماً للعملات ، وما يتم فيها ليس إلا تحديث **جيو . مالي** لشكلها الذي كانت عليه في القرون الوسطي لكي تظهر في صورة حديثة ، وترجمة هذه الوصفة إلي اللغة العادية هي : .

نحن لا نعرف الجوهر العميق للمرض ، ولكن نقدم لك وسيلة للراحة المؤقتة من الآلام ، فهذا التخدير الموضعي المالي يخفف بشكل ما من قمع الأزمة ويهدئنا مؤقتاً علي طريق نهاية النظام القديم ، ولكنه لا يغير الجينات الوراثية لهذا النظام ، ولا يدخل شيئاً جديداً في كودها الجيني كما أنه يفقد سريعاً تأثيره المسكن لانهيار النظام العالمي النقدي القديم .

الـطـريـق الـثـالـث : شكل بـديـل لـفـكـرة الـدولار :

يتمثل هذا الطريق في تحويل بعض من العملات الوطنية إلي عملة إقليمية أو قارية أو إلي احتياطي نقدي عالمي . وقد أعلنت اليوم العديد من دول العالم عن مثل هذه النوايا ، أي عن رغبتهم في تكرار تنفيذ " **فكرة الدولار** " ، ولكن في " **زي** " عملتهم الوطنية ، أو بعبارة أخري ، بأن يفرضوا علي أنفسهم وعلي عملتهم الوطنية دور العملة فوق الوطنية وعلي نحو يتم فيه تكرار لرحلتها الحزينة . وسوف يؤدي هذا " **الشكل البديل لفكرة الدولار** " في زيه المحلي ، سواء كان علي المستوي الإقليمي أو القاري أو العالمي إلي الانهيار ، فهو يقوض الاقتصاديات الوطنية ، ليس فقط في الدول التي تدعم هذه الفكرة ، ولكنها ستمتد أيضاً إلي الدول التي ستدخل في هذا الطريق النقدي ، وليس من الصعب حساب نتائج هذه الوصفة للخروج من الأزمة المالية ، التي تستنسخ " **فكرة الدولار** " فإنها هي الأزمة ذاتها ، ولكنها في إطار الاتحاد النقدي الذي تم تشكيله .

عند تأسيسنا للعلاقات بين الدول التي تعلو فوق العلاقات الوطنية في المجموعة الاقتصادية الأوراسية ومنظمة شانغهاي للتعاون علي أساس أي من عملاتنا الوطنية

، فنحن ملزمون باستنساخ مخطط للأزمة العالمية ، التي نشأت علي وجه التحديد بسبب استخدام العملات الوطنية لبلد كعملة لدول العالم ، ولكن في نفس الوقت سوف يتم انتاج الأزمة الاقليمية الخاصة بالمنطقة كنتيجة لإستحالة حل الصراعات الاقليمية عن طريق استخدام عملة غير وطنية ، علي اعتبار أنها تتجاوز الحدود الوطنية ، وهذا يعني أنه لا يتحقق ولو خروج جزئي من الأزمة العالمية ، ولكننا سنقوم باستنساخها بتوسع ، وستكون نتيجة تقودنا حتماً للإصابة بصدمة الطريق **الثاني** ، أو إلي نتائج للطريق **الأول** المحزنة .

هل سيعالج هذا الشكل البديل " **لفكرة الدولار** " الكود الجيني للخلل الجوهري في نظام النقد العالمي ؟ بالطبع لا . علي العكس من ذلك ، أنه فقط يضع هذا الكود الجيني القديم في آليات نقدية ومالية جديدة في نطاق الإقليمية والقارية والعالمية ، وسيتم التعامل مع ذلك تحت مسمي " **زي** " العملة المحلية .

الـطـريـق الـرابـع : الإصدار فـوق الـوطـنـي :

إن فكرة إصدار عملة جديدة تتجاوز الحدود الوطنية بشكل ما يتخطي الحدود الوطنية تكتسب المزيد من المؤيدين ، رغم أن معظم من قدم هذه المبادرة كانت تدور في خلدهم مجرد صور مختلفة من العملة النقدية الاصطناعية أو من وحدة الدفع والحساب التي تشكلت من سلة من العملات الموجودة حالياً ، والتي هي من نوعية " **حقوق السحب الخاصة بصندوق النقد الدولي** " .

من الواضح أن أية سلة من العملات القديمة المعيبة سوف تكون هي أيضاً معيبة وتبعاً لذلك ، فإن أي ترتيب لسلة من حقوق السحب الخاصة يمثل نفس الطريق الخاطئ للخروج من الأزمة المالية ، والذي لا يمثل في الواقع أي مخرج فعلي .

ببساطة ، في هذه الحالة بدلاً من المصدر الوحيد المعيب القديم للعملة العالمية سنحصل علي مجموعة جديدة لإصدار العملة العالمية المعيبة بشكل لا يقل عن سابقتها ، وسوف تكون عملة الاحتياطي العالمي " **حقوق السحب الخاصة** "

بالضبط هي نفس الأداة الوهمية لتقييم الثمن ، مثلها مثل جميع العملات التي تؤلف السلة " **باستثناء الذهب ، إن أمكن إدخاله في هذا النظام** " . هل ستعالج وصفة إنشاء مصدر معيب يتجاوز الحدود الوطنية أية عيوب وراثية في النظام النقدي القديم ؟ هل ستغير بهذه الطريقة جوهر كودها الجيني ؟

عندما يتعلق الأمر بأدوات مثل حقوق السحب الخاصة ، فمن الواضح تماماً أن ذلك لن يحدث ، علي الرغم من أنه توجد اليوم أفكار معقولة علي هذا الطريق وأحد هذه الأفكار تتمثل في إدخال تغيير علي سلة الأربع عملات من حقوق السحب الخاصة عن طريق إضافة عملات أخري إليها ، منها علي سبيل المثال **اليوان ، الروبل ، الذهب** .

يمكن أن تنمو البراعم الأولي لمثل هذه النوعية الجديدة من العملات ، والتي يمكن أن تمثل المقياس الحقيقي للقيمة الحقيقية للسلع والخدمات ، في مثل هذه السلة المعدلة من حقوق السحب الخاصة ، وهي نفسها يمكن أن تكون عنصراً هاماً لبداية حقيقية لبناء أو " **جسر** " لخروج العالم من الأزمة المالية العالمية .

كما توجد صور أخري من هذه الطريقة **الرابعة** ، إحداها تم وضعها ، علي سبيل المثال ، في أمريكا اللاتينية ، بواسطة دول " **الألبا** " وهي حالياً في مرحلة التنفيذ هي العملة فوق الوطنية الجديدة التي تمثل وحدة الدفع والحساب الإلكترونية " **سوكري** " الصادرة عن مركز الإصدار فوق الوطني الخاص بهذه الدول الخمس والتي تداولها منذ عام **2010** .

وهناك منطقة واعدة ، حيث أن الوقت قد حان للشروع في إنشاء مصدر صحي جديد يتجاوز الحدود الوطنية ، وتتمثل في بلدان منظمة شنغهاي للتعاون ، فلا يمكن حقاً البدء الفعلي في خروج بلادنا من الأزمة العالمية إلا عن طريق خلق مركز إصدار فوق وطني لعملة موحدة لنا جميعاً وتكون لنا كوحدة الكترونية للحساب ، وقد سبق أن عرضت ذلك علي الزملاء في منظمة شنغهاي للتعاون

مثل هذه الوحدة الإلكترونية للدفع والحساب لا تحل محل النظام النقدي القائم ، بل تكون مكملة له ، والتي ستسمح بالقيام بالاستثمار علي المدي الطويل في البنية الأساسية وبالقيام بالمعاملات الحالية ، ويجب أن يتم إصدارها من أجل المصالح الوطنية والمصالح الإقليمية والعالمية طويلة المدي لجميع الدول الأعضاء بمنظمة شنغهاي للتعاون ، وأوراسيا بصفة عامة ، كما توجد منطقة أخري ، أو بالأدق قارة ، لخلق مصدر جديد فوق وطني لإصدار العملة ، هي بطبيعة الحال قارة آسيا .

لقد دعا **جوزيف ستيجليتز** ، الحائز علي جائزة نوبل في الاقتصاد ، بمحاضرته في بانكوك ، الدول الآسيوية إلي إنشاء نظام جديد للاحتياطي العالمي ، يتجاوز الحدود الوطنية ، وأشار مباشرة إلي آسيا كمكان للبدء العملي لهذه العملية .

يمكن دعم هذه الفكرة بجدية ، علي سبيل المثال ، من قبل مؤتمر التفاعل وتدابير بناء الثقة في آسيا ، إن العشرين من الدول الآسيوية الرائدة الأعضاء في هذه المنظمة ، يمكنها بالفعل أن تقرر ، في قمتها القادمة للدول العشرين الكبار في آسيا ، تشكيل مجموعة عمل لوضع وحدة آسيوية فوق وطنية الكترونية للحساب وسيمثل ذلك خطوة طبيعية للعشرين الكبار بآسيا علي غرار وجود اتجاه موحد في العالم إنشاء وحدات نقد إقليمية للحساب " **الإكيو** ، **اليورو** ، **الدينار** ، **السوكري** ، **الأفرو** " ، كعملة للتطور الطبيعي للمناطق الصحية من الاقتصاد العالمي .

وليس من الصعب التوقع بأن نتيجة مثل هذا المسار **الرابع** ستكون خلق كيان صحي فوق وطني ، ويقوم كل من هذه المناطق بتطوير وحدته الإلكترونية النقدية فوق الوطنية للدفع والحساب ، كما تقوم كل منها بإدخال وحدتها النقدية للتداول عن طريق اتحادها فوق الوطني للدفع والحساب ، وبذلك فإن هذه المناطق تخرج فعلياً وبشكل تدريجي وعلي خطوات ليست وهمية من نطاق الأزمة المالية العالمية ، ويلي ذلك وبالتنسيق مع مراكز إصدار العملات فوق الوطنية الأخري البحث عن المناهج اللازمة لوضع عملة واحدة عالمية لها مركزها العالمي للإصدار .

لقد أكدت الهيئة الأكثر حجية والتي فوق الحدود الوطنية . **مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية** " **الأونكتاد** " . الحاجة الماسة لإنشاء مصدر للعملة يتخطي الحدود الوطنية والعالمية في الأونة الأخيرة ، وقد خلص تقريرها إلي أن نظام قواعد الاقتصاد العالمي المتعلق بالنقد ورأس المال لا يتمتع بالكفاءة ، ويعتبر السبب الرئيسي للأزمات المالية والاقتصادية ، لذلك وجب إعادة تنقيح نظام الاحتياطي العالمي النقدي للعملة بالكامل ، ويمثل تقرير الأونكتاد أول خطوة هامة لواحدة من المؤسسات العالمية التي تحظي بالاحترام علي الطريقة **الرابعة** .

ومع مرور الوقت ، سوف تعطينا هذه الطريقة **الرابعة** فرصة مستقبلية لعمل عملة عالمية جديدة وإنشاء مركز إصدار النقد من نوع جديد ، يعمل تحت رقابة حازمة من الأجهزة فوق الوطنية لمستخدميها ، وسوف يؤدي هذا إلي خفض جذري لتكرار الأزمات العالمية في العالم ، وبمرور الوقت سوف يوفر فرصة لتجنبها تماماً .

ولا يمكن مقارنة المشكلات القانونية والمالية والتنظيمية والتقنية لتطبيق وطنية وحدات الدفع الإلكترونية العالمية مع الخسائر المالية والاقتصادية والسياسية والجيوسياسية المحتملة التي يمكن لبلداننا أن تتكبدها في حال وقوع الخلاص الوهمي من الأزمة العالمية بشكل **فرادي** طبقاً لمدي **الكبر** .

الـطـريـق الـخـامـس : عـمـلات مـن فـئـة جـديـدة :

يمثل هذا الطريق توحيداً لجهود مجموعات من الدول المتقاربة لتطوير ووضع وحدة نقدية من فئة جديدة كأساس للدفع والحساب تتجاوز الحدود الوطنية وكذلك لتداولها " **وبعد ذلك إصدار عملة** " ، والجديد الجذري لهذا المسار هو وجود تحول انتقالي واع ومتعمد من وحدات العملة القديمة المستخدمة للتقييم الوهمي إلي أدوات جديدة للتقييم الحقيقي للقيمة الحقيقية للسلع والخدمات .

أما التعريف الأوسع نطاقاً للفئة الجديدة من الصكوك المالية الإقليمية والعالمية التي تتقدم لكي تحل محل العملة القديمة ، فيشمل العناصر السبعة التالية :.

أ و لا : أنها تمثل عملة جديدة عالمية شرعية ، تختلف عن العملة العالمية القديمة " **السابقة للشرعية** " ، أو حتي غير الشرعية للاحتياطي العالمي .

ثـــانـــيـــا : أنها عملة جديدة ديمقراطية ، صادرة عن مركز إصدار ديمقراطي جديد لصالح العالم كله ، علي عكس العملة الشمولية القديمة التي يصدرها المركز المالي لبلد واحد لخدمة مصالح مجموعة ضيقة من الناس .

ثـــالـــثـــاً : أنها أداة حقيقية لقياس القيمة الحقيقية ، علي النقيض من عملة التقييم الوهمية للقيمة الوهمية .

ر ا بـــعـــاً : أنها أداة مالية جديدة يسيطر عليها ربح التصنيع ، علي النقيض من الأدوات القديمة ذات التراكم المنفلت .

خـــامـــساً : أنها وهي تمثل أداة مالية جديدة لها هدف ، وتحدد الأهداف من منافسة وربح ، حيث أنها تمثل أهداف انمائية وحيدة طويلة للدول والشعوب والسلام والإنسانية ، علي عكس الأدوات القديمة للتنافسية والربح ، والتي تخدم الأنانية والجشع والطمع .

ســا د ســاً : هي أداة مالية جديدة موجهة نحو الأرباح المخططة ، والمنافسة والتنمية وتعزيز القيم العالية للدول والشعوب والسلام والإنسانية ، علي عكس الأدوات القديمة للمنافسة والأرباح غير القيمة ، التي تقوم بتدمير كل القيم الأساسية التقليدية .

ســا بـــعـــاً : أنها أداة مالية جديدة هادفة للربح والمنافسة والتنمية ، مليئة بالمعاني العليا لمصالح تنمية الدول والشعوب والسلام بدلاً من الأدوات القديمة للتراكم الطائش والنزعة الاستهلاكية .

فمن الواضح أن تطوير وإدخال عملة لها تلك السمات الأساسية الجديدة يمثلان الطريق الواضح والأكيد لضمان خروج الإنسانية من الأزمة العالمية ، وهذا الطريق

يقوم بتغيير جذري في الكود الجيني للنظام النقدي والمالي العالمي ويضمن معالجة الأسباب الجذرية لهذه الأزمة .

تعد المهمة المتعلقة بوضع وتنفيذ فئة جديدة من العملة تمثل حاجة ملحة واقعية وعملية ، فلقد تمكنت البشرية من وضع الحلول بنجاح لمهام أكثر تعقيداً بكثير وللبداية نحتاج فقط لرغبة ولإرادة المستخدمين لهذه العملة في المستقبل ، وكذلك لصياغة هذه الرغبة وهذه الإرادة في منظمة واحدة تبدأ في وضع الحل لهذه المهمة علي خطوات بأسلوب علمي ، فدول العالم تملك بالفعل كل الامكانيات للقيام بالخطوة الأولي علي هذا الطريق في إطار الأمم المتحدة علي أساس التقرير الصادر مؤخراً عن الأونكتاد .

الـمـفـارقـة فـي الـتـقـدم فـي الـعـالـم :

بنظرة غير متحيزة إلي النظام الحديث للابتكارات ، يمكن أن نري أن هناك ثلاث مجموعات رئيسية من الابتكارات ، والتي لا يزال لا يميزها إلا عدد قليل جداً من الناس ، هي : .

أ و لا : الابتكارات التقنية التي تكمن وراء تطوير وتغيير الهياكل التقنية لدول العالم .

ثـانـيـا : هي الابتكارات في المجال النقدي والمالي ، حيث أن هذه العملية تحدد التحول في الأنماط النقدية والمالية للدول والعالم .

ثـالـثـاً : الابتكارات الاجتماعية والسياسية ، والتي يكمن التقدم فيها وراء التغيير الاجتماعي والحياة السياسية والاقتصادية للدول والعالم أجمع .

والتمييز الواضح بين تلك المستويات الثلاثة من الابتكارات ضروري لفهم سمة الأزمة العالمية ، وتحديد السبل اللازمة للتغلب عليها ، لأن جوهر ذلك يكمن في حزمة من التناقضات المستعصية الحل بين معدلات ومستويات تنمية التقنية والمشاركات النقدية والمالية والاجتماعية والسياسية لكل دولة والعالم بأسره ، أو

بعبارة أخري ، في كومة واضحة وطويلة الأمد من التناقضات بين معدلات تطبيق الابتكارات التقنية العالمية وتلك المالية والاجتماعية والسياسية .

الأزمة العالمية تبين لنا بوضوح أن التقدم التقني اليوم لا يمثل وسيلة حاسمة بالنسبة لازدهار البلاد والعالم ، حيث أن الدول التي تتمتع بأعلي مستوي من التطور التقني أصبحت هي بالذات المصدر الرئيسي والسبب الرئيسي للأزمة العالمية ، وأنا لا أعني هذه البلدان في حد ذاتها ، ولكن أعني عدم رغبتها أو عدم قدرتها علي أن تصل بوتيرة تنفيذ الابتكارات النقدية والمالية والاجتماعية والسياسية إلي نفس مستوي الابتكارات التقنية .

والحقيقة هي أن التطور الاجتماعي والسياسي العالمي يرتكز بوضوح علي أساس النظام النقدي والمالي العالمي ، كما أن جوهره ، كما سبق ذكره ، يتمثل في فئة من العملات ، عفا عليها الزمن منذ أمد طويل ، إن الجوهر النقدي والمالي الأساسي للتقدم الاجتماعي والنظام السياسي محروم من الابتكار منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمن ، ويعاني حالة من الركود منذ فترة طويلة ، ويتفجر ويتهاوي إلي الأزمة العالمية ، وللخروج من ذلك نحن بحاجة إلي تحسين وتحديث جذري لهذه النواة ، أي فتح الباب للابتكارات الجذرية والعميقة لصالح البشرية ، ولا يوجد أي طريق آخر للخروج من هذه الأزمة سوي ذلك الطريق .

ما الذي يمنعنا من القيام بذلك بشكل جذري ، وبسرعة وبكفاءة ؟ إن المعوقات الرئيسية علي طريق تطبيق الابتكارات المالية العالمية تتمثل في النظام النقدي والمالي العالمي في حد ذاته إلي جانب النخبة العالمية المرتبطة به والتي تتمسك بعناد بصكوك عفا عليها الزمن منذ فترة طويلة .

هل يمكن اعتبار إن هذا النظام ديمقراطي ، وأنه تتم إدارته لصالح الغالبية من المستخدمين ؟ بالكاد ، ومع ذلك ، إذا لم يكن ديمقراطياً ، ويعمل خارج نطاق سيطرة الغالبية من المستخدمين ، وهذا ما هو واضح بالفعل ، فهل ذلك يعني أنه

شمولياً ؟ ولكن كما اتضح بعد ذلك ، أن من في طليعة نشر الديمقراطية في العالم لم يكتف فقط بعدم ملاحظة هذا القدر من التناقضات الواضحة والأساسية ، ولكنه أصبح من قام ببناء هذا النظام ويتولي حمايته ؟

يتضح من ذلك أنه علي مدي قرون من الكفاح الطويل من أجل الديمقراطية السياسية ، فإن الإنسانية تغفل أمر أنه تمت إقامة نظام نقدي ومالي عالمي وشمولي ، خال تماماً من أدني علاقات الديمقراطية ، هذه هي المفارقة اللا معقولة والدراماتيكية للتقدم في العالم ، وتمثل الدرس الرئيسي شديد الدلالة الناتج من الأزمة المالية العالمية ، وطالما لن تقوم دول وشعوب العالم بإنشاء نظام نقدي ومالي وعالمي جديد يتمتع بالديمقراطية الحقيقية ، فإن هذه المفارقة سوف تجعلنا دائماً ننحرف عن طريق التقدم .

مـعـايـيـر الـديـمـقـراطـيـة والـحـريـة الـحـقـيـقـيـة :

إن الأزمة العالمية لا تمثل فقط فترة تزايد التحديات العالمية والبحث عن حلول للخروج من الأزمة ، وإنما هي أيضاً وقت يختار فيه العالم كله طريق السلام والإنسانية في المستقبل ، وأولا وقبل كل شئ ، فهو وقت فريد لاختيار النظام العالمي النقدي والمالي ، وكذلك الاجتماعي السياسي ، وتحديد نوع وجودة أدوات تنمية شخصية الشعوب والدول والبشرية والعالم بأسره .

لقد ظهرت حالياً في العالم ، وبصورة واضحة ، ما لا يقل عن **الخمسة** طرق المذكورة أعلاه لخروج البشرية من الأزمة العالمية ، وهذه الأزمة تعطي كل شعب وكل دولة فرصة نادرة لاختيار مستقبله الذاتي ، هذا الاختيار يقتصر الآن علي انتقاء نوع ومستوي الابتكارات ، والتي سيعمل وفقها النظام المالي والنقدي في الدولة والعالم ، باعتبارها النواة الأساسية لذلك النظام الاجتماعي والسياسي والتقني ، الذي يرغب الناس والأسرة والأمة والدولة والبشرية ككل العيش في ظله ، كما أن الأزمة العالمية تمنحنا امكانية ممارسة الديمقراطية الحقيقية للعالم بأسره .

ومن خلالها تحصل كل دولة علي فرصة حقيقية للقيام بعمل تاريخي يمثل خياراً ديمقراطياً وحراً لمستقبله ، ويمكن للشعوب وحدها اختيار الطريقة المناسبة للخروج من الأزمة ، وينبغي عليهم ذلك ، بعد القيام بعمل ديمقراطي يقوم فيه الشعب بالاختيار " **علي سبيل المثال في استفتاء عام** " يخول لرئاسة حكومة الدولة الحق في التصرف ، وتقوم نخبة البلاد بالبدء في وضع وسيلة الملاحة والإبحار لمثل هذا التحرك في الاتجاه المحدد من الشعب . في خلال ذلك ، يتم ضمان الحرية الحقيقية للاختيار بإدراج ما لايقل عن الخمسة طرق الموضحة أعلاه في القائمة التي سيقوم الشعب بالتصويت عليها للخروج من الأزمة .

هذان المعياران البسيطان للحرية الفعلية والديمقراطية الحقيقية لاختيار الشعب لمستقبله يجعلا من الممكن عملياً قياس وتقييم مدي تجاوب الشعب والدولة مع تحديات القرن الحادي والعشرين ، وإنني آمل ، وليس لدي أدني شك أن النتيجة ستكون اختيار **الطريق الخامس** .

الإصلاحـات الـرئـاسـيـة :

حدد الرئيس **نور سلطان نزاربايف** مائة خطوة عملية لتنفيذ الإصلاحات الرئاسية الخمس ، والتي أعلن عنها خلال برنامجه الانتخابي ، في الانتخابات الرئاسية المبكرة التي جرت في **26** أبريل **2015** ، وقد جاءت تلك الإصلاحات لتمثل برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي متكامل ، حيث تضمن البرنامج خمس محاور أساسية تتفرع إلي مائة خطوة ، وذلك علي النحو التالي :.

محاور الإصلاحات الخمس :

1 . تشكيل جهاز الدولة الحديث .

2 . ضمان سيادة القانون .

3 . التصنيع والنمو الاقتصادي .

4 . تكوين أمة المستقبل المشترك .

5 . الدولة الشفافة التي تخضع للرقابة .

الـمـحـور الأول : تـشـكـيـل جـهـاز الـدولـة الـمـهـنـي :

1 . تحديث إجراءات القبول في المؤسسات الحكومية ، بحيث يبدأ الالتحاق بالمصالح الحكومية من أول السلم الوظيفي .

2 . يكون اختيار المرشحين لمناصب أول السلم الوظيفي وتقدمهم الوظيفي فيما بعد طبقا لمعايير الكفاءة .

3 . ضرورة إجراء الاختيار للمرشحين الراغبين في الالتحاق بالمصالح الحكومية لأول مرة بشكل مركزي من خلال تعزيز دور وكالة جمهورية كازاخستان بشئون المصالح الحكومية ومكافحة الفساد ، وإدخال نظام اختيار المرشحين ذو المراحل الثلاث .

4 . تحديد فترة الاختبار الاجبارية لمن تم التحاقهم بالمصالح الحكومية لأول مرة وفقا لصيغة 3 + 3 (مراقبة الالتزام مرتين . بعد ثلاثة أشهر وبعد ستة أشهر) .

5 . زيادة الأجور لموظفي الجهات الحكومية طبقا لنتائج العمل .

6 . الانتقال إلى نظام دفع الأجور طبقا لنتائج العمل . فالنسبة لموظفي الجهات الحكومية يجب تنفيذ الخطط الفردية السنوية ، وبالنسبة للمصالح الحكومية يجب تنفيذ الخطط الاستراتيجية ، أما بالنسبة للمحافظين من خلال مؤشرات محددة خاصة بجودة الخدمات الحكومية وجودة الحياة وجذب الاستثمارات ، وبالنسبة لأعضاء الحكومة من خلال مؤشرات متكاملة خاصة بالاقتصاد الكلي .

7 . إدخال معاملات التصحيح الإقليمية الخاصة برواتب موظفي المصالح الحكومية .

8 . يتم توفير المسكن من قبل المصالح الحكومية لموظفيها في فترة توليهم التزامات العمل دون الحق في خصخصة المسكن .

9 . تعزيز تشريعي لنظام تدريب موظفي المصالح الحكومية بانتظام ودورات رفع الكفاءة على الأقل مرة واحدة كل ثلاث سنوات .

10 . الانتقال إلى مرحلة اختيار موظفي المصالح الحكومية على أساس المنافسة من أجل الترقى في السلم الوظيفي .

ويتم تعزيز مبدأ الكفاءة من خلال ترقى موظفي المصالح الحكومية الذين يشغلون مناصب أول السلم الوظيفي إلى درجات وظيفية أعلى تابعة لمجموعة " **ب** " ويقوم هذا الترقي على أساس تنافسي .

11 . قبول المديرين الأجانب وبعض الخبراء من القطاع الخاص ومواطني جمهورية كازاخستان الذين يعملون في المنظمات الدولية للعمل في المصالح الحكومية ، ويمكن توظيفهم طبقا لاحتياجات محددة وقائمة الوظائف المختصة ، وهذه الخطوة تجعل من المصالح الحكومية نظاما مفتوحا وقابلة للتنافس .

12 . وضع قواعد أخلاقية جديدة وتطوير ميثاق الاخلاق الجديد للمصالح الحكومية ، وادخال منصب المفوض بشئون الأخلاق .

13 . تعزيز مكافحة الفساد بما في ذلك وضع التشريع الجديد . حيث يتمإنشاء الإدارة الخاصة بوقاية ومنع جرائم الفساد داخل وكالة شئون المصالح الحكومية ومكافحة الفساد .

14 . اعتماد قانون المصالح الحكومية الجديد الخاص بالعاملين في جميع الجهات الحكومية بما في ذلك الجهات الأمنية .

15 . القيام بإجراءات التأهيل الكامل للموظفين العاملين بالمصالح الحكومية بعد اعتماد قانون المصالح الحكومية الجديد وتعزيز متطلبات التأهيل وإدخال نظام الأجور الجديد .

المحور الثاني : ضمان سيادة القانون :

16 . تحديث مراحل النظام القضائي لتسهيل الوصول إلى العدالة والانتقال من المراحل الخمس في القضاء (**الابتدائية** ، **الاستئناف** ، **النقض** ، **المراقبة** **إعادة المراقبة**) إلى ثلاثة مستويات (**الابتدائية** ، **الاستئناف** ، **النقض**) .

17 . تشديد متطلبات التأهيل وآلية اختيار المرشحين لشغل الوظائف القضائية . ومن أهم الشروط الملزمة ، شرط وجود الخبرة لمدة **5** سنوات في المحاكم . يتم ادخال نظام الاختبارات الآنية للتحقق من المهارات المهنية والقدرات ، ويدخل المرشحون للقضاة الدورة التدريبية لمدة سنة واحدة في المحاكم مدفوعة الأجر وبعد الانتهاء من هذه الدورة التدريبية يدخل القضاة فترة الاختبار لمدة سنة واحدة .

18 . اخراج معهد القضاء من أكاديمية إدارة الدولة بهدف تعزيز العلاقة بين التعلم والعمل بالقضاء وسوف يعمل هذا المعهد تحت رئاسة المحكمة العليا ويضمن رفع كفاءة القضاة بانتظام .

19 . تعزيز رقابة القضاة ووضع ميثاق القضاة الأخلاقي الجديد الذي يمكن للمواطنين عن طريقه الطعن في تصرفات القضاة أمام لجنة القضاة التابعة للمحكمة العليا في البلاد والتي تم انشاؤها بهذا الغرض .

20 . التسجيل الاجباري لجميع القضايا بتسجيل الصوت والفيديو ويجب على القاضي ألا يكون قادر على إيقاف التسجيل المؤقت أو تصحيح المواد المسجلة .

21 . توسيع نطاق هيئة المحلفين ووضع التحديد القانوني لفئة القضايا الجنائية التي يجب على الهيئة أن تحضرها بشكل إلزامي .

22 . ضمان التوازن بين الادعاء والدفاع في المحاكم عن طريق تسليم الصلاحيات لقاضي التحقيق بالتدريج والتي تخص جميع إجراءات التحقيق التي تحد من حقوق الإنسان والمواطن الدستورية .

23 - إنشاء القضاء المنفصل الذي ينظر في منازعات الاستثمار وتشكيل اللجنة الاستثمارية في إطار المحكمة العليا للتعامل مع النزاعات التي تخص كبار المستثمرين .

24 . إنشاء مركز التحكيم الدولي **(AIFC)** في مدينة أستانا .

25 . انشاء المجلس الدولي التابع للمحكمة العليا لجمهورية كازاخستان بهدف تطبيق أفضل المعايير الدولية باشتراك القضاة والمحامين الأجانب الذين يتمتعون بالسمعة الطيبة ، ويقوم هذا المجلس باستشارة المحكمة العليا في مجال تحسين القضاء في كازاخستان .

26 . الحد من مشاركة المدعي العام في محاكمة المنازعات المدنية لتسهيل وتسريع الإجراءات القضائية ، وإدخال التعديلات المحددة في قانون المرافعات المدنية .

27 . مواصلة تطوير نظام المحضرين الخاص وانخفاض نسبة المحضرين الذين يعملون في المصالح الحكومية بالتدريج .

28 . تحسين نظام اختيار ضباط الشرطة القائم على أساس الكفاءة وإدخال النظام الخاص لاختبار المرشحين للعمل في الشرطة وضباط الشرطة الحاليين للتحقق من الصفات الشخصية والمهارات المهنية .

29 . التحاق ضباط الجهات الأمنية بالمصالح الحكومية وإدخال قواعد موحدة للخدمة مع الأخذ بعين الاعتبار اختصاصات كل جهة أمنية .

30 – انشاء جهاز الشرطة المحلي المسئول أمام السلطات التنفيذية المحلية والمجتمعات المحلية ومن ضمن اختصاصات جهاز الشرطة المحلي المحافظة على النظام العام ومنع الجريمة وخدمة الدوريات والمرور وتأمين الطرق وعدم السماح بحدوث المخالفات ، وسيحصل ضباط شرطة الدوريات والمرور على مسجلات الفيديو الرقمية التي ستسجل كل ما يعمله ضابط الشرطة أثناء مناوبتهم .

31 . ضمان شفافية الشرطة من خلال إنشاء نظام المجالس العامة الخاصة بالنظر إلى شكاوى المواطنين من تصرفات رجال الشرطة الذين ينتهكون المعايير الأخلاقية وسيتم تعزيز الوضع وصلاحيات المجالس العامة بموجب القانون .

32 . إنشاء البوابة الإلكترونية تحت عنوان " **خارطة الجرائم الجنائية** " على أساس نظام المعلومات الوطني " **خارطة الجرائم الجنائية** " وسيتم تحديد جميع الجرائم الجنائية التي حدثت في البلاد على الخريطة في موعد أقصاه أسبوع واحد بعد ارتكابها .

وهذا الإجراء يسمح للجمهور مراقبة فعالية العمل الذي تقوم به وزارة الداخلية .

33 . بناء النظام الفعال الخاص بإعادة التأهيل الاجتماعي للأشخاص المفرج عنهم من السجون والمسجلين لدى إدارة مراقبة السلوك وتطوير استراتيجية متكاملة لإعادة التأهيل ومعايير الخدمات الاجتماعية الخاصة لهؤلاء المواطنين .

34 . تحديث نظام السجون في إطار تطوير الشراكة بين القطاعين العام والخاص ودراسة الخبرة الدولية والمقترحات لجذب القطاع الخاص إلى بناء وإدارة السجون .

الـمـحـور الـثـالـث : الـتـصـنـيـع والـنـمـو الاقـتـصـادي :

35 . إدخال الأراضي الزراعية للتداول في السوق بغرض استخدامها الفعال وإدخال التعديلات في قانون الأراضي وسائر القوانين التشريعية .

36 . تبسيط إجراءات تغيير الغرض من الأرض والتتبع لاستخدام الأراضي الزراعية بانتظام ونقل جميع الأراضي غير المستغلة إلى صندوق الدولة لخصخصتها .

37 . تحسين السياسات والإجراءات الضريبية والجمركية وخفض معدلات الرسوم الجمركية الخاصة بالتعريفة الجمركية الموحدة " **0 . 5 . 12** " في إطار مجموعات تجارية متجانسة على ست علامات ، وبيان الأسماء التجارية الخاصة بالنشاط الاقتصادي الخارجي .

38 . إدخال مبدأ " **النافذة الواحدة** " للمصدرين والمستوردين خلال تخليص الإجراءات الجمركية وتطوير نظام الإعلان الإلكتروني أو بعبارة أخرى إدخال النظام الآلي للتخليص الجمركي للبضائع وتخفيض عدد المستندات للتصدير والاستيراد ووقت تخليصها .

39 . دمج نظامي الجمارك والضرائب وتتبع المستورد من تاريخ دخول السلع المستوردة إلى أراضي كازاخستان حتى بيعها بغرض فرض الضرائب .

40 . إدخال نظام التخليص الجمركي تحت عنوان " **بعد وقوع الحادث** " وإعطاء فرصة لإنتاج الفئات المعينة من البضائع الخاصة بمشاركين فى النشاط الاقتصادي الخارجي حتى تسليم البيان الجمركي الخاص بالبضائع .

41 . تبسيط إجراءات التصديق على الممتلكات والأموال وإدخال التغييرات والإضافات إلى التشريع القائم .

42 . الأخذ باقرار الدخل والمصروفات بغرض فرض الضرائب من **1** يناير **2017** لموظفي الدولة يليها تطبيق هذه الإجراءات لجميع المواطنين بالتدريج .

43 . إنشاء سلسلة المراكز الخاصة لإستلام ودراسة الإقرارات الضريبية وستحصل المراكز على حق دخول الأرشيف الموحد الخاص بالوثائق الإلكترونية التابعة لدافعي الضرائب ، وإدخال نظام إدارة المخاطر الذي يسمح بتصنيف دافعي الضرائب حسب فئة المخاطر لإتخاذ القرار بشأن مراقبة الضرائب وبعد تقديم أول إقرار ضريبي لا يخضع الأشخاص الطبيعيون لعملية التفتيش خلال ثلاث سنوات .

44 تحسين آلية تحصيل الضرائب غير المباشرة ودراسة مفصلة خاصة بإدخال ضريبة المبيعات بدلا من ضريبة القيمة المضافة .

45 . تحسين النظام الضريبي الحالي مع إدخال حسابات الإيرادات والمصروفات

46 . الاستفادة المثلي من عملية الحصول على تصاريح ، وإدخال مبدأ الحصول على تراخيص البناء (" **30 . 20 . 10** ") ذي المراحل الثلاث .

المرحلة الأولى : وهي إعطاء المهمة في الهندسة المعمارية والتخطيط فتستغرق فترة تصل إلى **30** يوما من تاريخ تقديم الطلب .

المرحلة الثانية : وهي الموافقة على التصميم الأولي (**مشروع تصميم**) تستغرق فترة يصل إلى **20** يوما.

المرحلة الثالثة : وهي الحصول على التصريح تستغرق حوالى**10** أيام .

47 . التخلص التدريجي من احتكار الدولة لإجراء الفحص على مستندات المشروع والتصميم والمقايضة ونقل فحص المشاريع إلى بيئة تنافسية .

48 . إدخال أسلوب الموارد لتحديد التكلفة التقديرية للبناء وإدخال طريقة جديدة للتسعير في البناء تسمح بتحديد التكلفة التقديرية لبناء المشاريع بالأسعار الجارية مع القيمة السوقية الحقيقية للمواد والمنتجات والمعدات والأجور ، فضلا عن توفير التحديث السريع في قاعدة المقايضة بالمواد الجديدة والمعدات والتقنيات .

49 . تنفيذ نظام الأكواد الأوروبية بدلا من قواعد وأنظمة البناء القديمة التي كانت تطبق من الحقبة السوفيتية ، ويسمح اعتماد الأنظمة الجديدة بدخول تقنيات ومواد

مبتكرة ورفع القدرة على المنافسة للخبراء الكازاخ في سوق خدمات البناء فضلا عن إعطاء الفرصة لدخول الشركات الكازاخية أسواق الخدمات الخارجية في مجال البناء والتشييد .

50 . إعادة تنظيم انتاج الكهرباء وتطبيق نموذج " **المشتري الواحد** " وتسمح هذه الاجراءات بتذليل الخلافات في أسعار الكهرباء بين المناطق .

51. توسيع شركات الكهرباء الاقليمية ، حيث يؤدي ذلك إلى رفع كفاءة إمدادات الطاقة وخفض تكلفة نقل الكهرباء في المناطق وخفض قيمة الكهرباء للمستهلكين.

52 . وضع سياسة التعريفة الجمركية الجديدة في مجال الطاقة التي ستشجع الاستثمار في هذا القطاع ، والتغيير في محتوى التعريفة من خلال تقسيم تلك التعريفة لجزأين ، **جزء ثابت** : يخص تمويل النفقات الرئيسية وسداد فواتير الكهرباء المستخدمة لتغطية التكاليف المتغيرة في إنتاج الكهرباء ، وهذه الإجراءات ستغير الوضع الحالي في حالة اعتماد التعريفات على أساس " **التكلفة الزائدة** " .

53 . تغيير مفهوم العمل الخاص بإدارة مكافحة الاحتكار وتوافقه مع معايير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، وتقوم الإدارة المستحدثة بتشجيع المنافسة الحرة .

54 . تعزيز مؤسسة الأعمال ، الخاصة برجال الأعمال لحماية مصالحهم ، وتضم المؤسسة الجديدة ممثلين عن رجال الأعمال والغرفة الوطنية لرجال الأعمال .

55 . جذب عشر شركات عبر الوطنية على الأقل إلى قطاع التصنيع بغرض انتاج السلع التصديرية ودخول كازاخستان الأسواق العالمية ، وأيضا ابلاغ الشركات التجارية العالمية عن الفرص الجديدة في المحافل الاقتصادية الدولية .

56 . انشاء المشاريع المشتركة في قطاعات الاقتصاد ذات الأولوية مع " **المستثمرين الأساسيين**" وهم الشركاء الاستراتيجيون الدوليون (**مثل الخطوط الجوية الكازاخية** " **طيران أستانا** " **وشركة البترول** " **تينجيز شيفرويل** " **ومصنع بناء القاطرات**) ، وفي المستقبل يتم توزيع حصة الدولة في المشاريع المشتركة

على أساس الاكتتاب العام (**IPO**) ، وإيجاد نظام ملائم للهجرة ، مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا لجذب الخبراء الأجانب الذين يتمتعون بخبرة ومؤهلات عالية .

57 . جذب المستثمرين الاستراتيجيين الذين لديهم تجارب ناجحة في إنشاء مجموعات سياحية .

58 . جذب المستثمرين الاستراتيجيين لإنشاء المركز الواحد الخاص بصيانة وتطوير البنية التحتية للنقل والطرق .

59 . جذب المستثمرين الاستراتيجيين إلى مجال الحفاظ على الطاقة عن طريق آلية الاتفاقيات الخاصة بصيانة الطاقة المعترف بها دوليا .

فالهدف الرئيسيمن جذب المستثمرين هوتحفيز وتطوير الشركات الخاصة العاملة في مجال الطاقة وتقديم خدمات شاملة في مجال الحفاظ على الطاقة مع سداد التكاليف الخاصة بها وتحقيق مكاسب مالية يتم المحصول عليها من توفير الطاقة الفعلي .

60 . جذب المستثمرين الاستراتيجيين لتطوير إنتاج الحليب ومنتجات الألبان بهدف دخول صادرات النصف من منتجات أسواق رابطة الدول المستقلة خلال ثلاث سنوات . ويتم هذا العمل طبقا لمواصفات الشركة النيوزيلندية " **فرونتيرا** " والشركة الدنماركية " **ارلا** " مع تطور الإنتاج التعاوني في القرى .

61 . جذب المستثمرين الاستراتيجيين لتطوير إنتاج اللحوم وتصنيعها والهدف الرئيسي هو تطوير قاعدة الموارد وتصدير المنتجات المصنعة .

62 . تنفيذ مبادرة " **الأبطال الوطنيون** " مع التركيز على تقديم الدعم للشركات المحددة التي تمثل مقدمة الشركات المتوسطة الحجم في قطاعات الاقتصاد التي لا تعتمد على الخامات . حيث يعطى تحديد قيادة بين الشركات امكانية إنشاء مراكز الاختصاصات لإنتشار التقنيات المتقدمة .

63. تطوير المجموعتين المبتكرتين كأساس تكوين الاقتصاد القائم على العلم . في " **أستانا بيزنس كامبوس** " التابع **لجامعة نزارباييف** ، ووضع المراكز العلمية والمختبرات لإجراء مشاريع البحوث العلمية المشتركة وأعمال التصميم فضلا عن تسويقها في المستقبل . ويقوم مجمع التقنيات المبتكرة بجذب شركات التقنية المتقدمة المحلية والأجنبية لتنفيذ المشاريع الصناعية المحددة .

64 . إعداد قانون " **تسويق نتائج الأنشطة العلمية و (أو) التقنية** " التي تتضمن آليات تمويل العمل الخاص بإدخال الابتكارات في عملية الإنتاج فضلا عن إعادة توجيه المنح والبرامج العلمية طبقا لاحتياجات برنامج الدولة للتنمية الصناعية المبتكرة .

65 . تكامل كازاخستان في حركة النقل والاتصالات الدولية وإطلاق المشروع الخاص بإنشاء ممر النقل المتعدد الوسائل تحت عنوان " **ممر أوراسيا العابر للقارات** " الأمر الذي سيسمح بعبور البضائع بدون عراقيل من آسيا إلى أوروبا . حيث سيسلك ممر النقل اتجاهين ويمر الاتجاه الأول عبر أراضي كازاخستان وروسيا الاتحادية وأوروبا ، ويمر الاتجاه الثاني عبر أراضي كازاخستان من هورجوس إلى ميناء أكتاو ثم من خلال بحر قزوين إلى أذربيجان ثم جورجيا . يقوم البنك الآسيوي للاستثمارات في البنية التحتية الذي تم انشاؤه في أواخر عام **2014** بجذب الاستثمارات إلى هذا المشروع في المستقبل .

66 . إنشاء مركز الطيران الدولي ، وبناء المطار الدولي الجديد حسب المعايير الدولية بجانب مدينة ألماطى مع جذب المستثمر الاستراتيجي .

67 . تطوير الناقل الجوي " **طيران أستانا** " والشركة الوطنية " **السكك الحديدية الكازاخية** " بصفتهما الشركتين الدوليتين الكبيرتين ، وتقوم شركة " **طيران أستانا** " بالتركيز على الاتجاهات الدولية وتفتح مجالات جديدة إلى المراكز المالية الرئيسية في العالم (**مثل نيويورك وطوكيو وسنغافورة**) . وسيتم تطوير " **طيران**

أستانا " بالتنسيق مع خطط " **السكك الحديدية الكازاخية** " لتطوير الطرق البديلة مما سيسمح بانخفاض تكلفة امداد الشحن إلى ضعفين .

68 . رفع كفاءة التنظيم الحكومي للخدمات الجوية لتعزيز جاذبية الطيران عن طريق كازاخستان . وسيتم عمل لجنة الطيران المدني طبقا لمواصفات وكالة الطيران المدني البريطاني الحكومي ، ووكالة أمان الطيران التابعة للاتحاد الأوروبي .

69 . تحويل أسطانا إلى مركز أوراسيا للأعمال التجارية ، والأنشطة الثقافية والعلمية لجذب الباحثين والطلاب ورجال الأعمال والسياح من جميع أنحاء العالم. وفي نفس الوقت سيكون النقل والخدمات اللوجستية في المدينة على النظام الدولي المعاصر بما في ذلك المطار الجديد .

70 . إنشاء مركز دولي مالي في أستانا (**AIFC**) تقوم بنيته التحتية على معرض أستانا **EXPO -2017** مع إعطائه وضعا خاصا ، وتأمين الوضع القانوني الخاص للمركز المالي في الدستور ، ليصبح مركزا ماليا لبلدان رابطة الدول المستقلة ، فضلا عن المنطقة بأسرها من غرب ووسط آسيا ، ويتم إنشاء نظام قضائي مستقل في اختصاصه ، ويعمل على مبادئ القانون الإنجليزي ، ويتكون هذا الجهاز القضائي من المتخصصين الأجانب . كما يجب أن يدخل هذا المحور المالي في كازاخستان ضمن **20** من المراكز المالية الرائدة في العالم .

71 . وضع استراتيجية التنمية لمركز مالي متخصص في خدمة أسواق رأس المال والتمويل الإسلامي ، وتطوير أنواع جديدة من نخبة الخدمات المالية ، بما في ذلك في مجال إدارة الأصول المصرفية الخاصة ومقدمة لقلب النظام الضريبي الليبرالي . ومن الممكن إنشاء سوق مالية في الخارج وإدخال مبدأ الإقامة من أجل الاستثمار .

72 . إدخال اللغة الإنجليزية كلغة رسمية في نطاق المركز المالي ، وأن يكون له تشريع منفصل تطبق فيه اللغة الإنجليزية .

73 . توفير إمكانية وصول النقل الدولي للمركز المالي ، وإنشاء شبكة منتظمة ومريحة للخدمات الجوية للمركز مع المراكز المالية الرائدة.

74 . زيادة الشفافية والقدرة على التنبؤ فى مجال استخدام باطن الأرض من خلال إدخال المعايير المحاسبية للمنظومة الدولية للموارد المعدنية **CRIRSCO** .

75 . مقدمة مبسطة للتعاقد على جميع المعادن وذلك من خلال استخدام أفضل الممارسات الدولية .

76 . يتم تحسين نوعية رأس المال البشري استنادا إلى معايير بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ، والتنفيذ على مراحل : **12** عاما من التعليم ، ورفع مستوى معايير التعليم المدرسي لتطوير محو الأمية الوظيفية ، وإدخال نصيب الفرد من التمويل في المدرسة الثانوية ، وخلق نظام للحوافز من المدارس الناجحة .

77 . يتم إعداد الكوادر المؤهلة في المراكز العشرة الأولى في الكليات ، وعشر جامعات في القطاعات الستة الرئيسية للاقتصاد ، تليها نشر الخبرة في المؤسسات التعليمية الأخرى في البلاد .

78 . وعلى مراحل التوسع في مؤسسات الحكم الذاتي الأكاديمية والإدارية مع خبرة جامعة نزاربايف والتحول من مؤسسات التعليم العالي الخاصة في المنظمات غير الهادفة للربح وفقا للممارسات الدولية .

79 . مراحل الانتقال إلى تعليم اللغة الانجليزية في نظام التعليم . في المدارس الثانوية والجامعات ، والهدف الرئيسي . زيادة القدرة التنافسية للموظفين ونمو فرص التصدير لقطاع التعليم .

80 . يتم تطبيق نظام التأمين الصحي الاجتماعي الإلزامي ، وتعزيز الاستقرار المالي للنظام الصحي على أساس المسئولية المشتركة والمتعددة في الدولة وأصحاب العمل والمواطنين ، وفي التمويل الأولوية للرعاية الصحية الأولية . الرعاية الصحية الأولية ستكون مركز الصحة القومية لمنع والمكافحة المبكرة للأمراض .

81 . التطوير الطبي والإدخال الحكومي للشركات الخاصة في المرافق الطبية . من أجل تحسين وتوافر نوعية الخدمات من خلال المنافسة على أساس تمويل الصحة الأولية والرعاية الاجتماعية في المنظمات الطبية للتأمين الصحي المشترك لضمان الانتقال إلى مبادئ التحول الحكومى للشركات ، وتشجيع خصخصة المؤسسات الصحية العامة ، والتوسع في توفير حجم ومضمون المساعدات الطبية المجانية من خلال المنظمات غير الحكومية .

82 . انشاء اللجنة المشتركة القائمة على جودة الخدمات الصحية في وزارة الصحة والتنمية الاجتماعية . بهدف إدخال معايير متقدمة للرعاية الطبية (**بروتوكولات العلاج والتدريب وتوفير الأدوية ومراقبة الجودة والوصول**) .

83 . تحرير علاقات العمل وتطوير قانون العمل الجديد .

84 . المثالية في المساعدات الاجتماعية من خلال تعزيز الأغراض المستهدفة لها وستقدم المساعدة الاجتماعية فقط لهؤلاء المواطنين الذين هم بحاجة إليها حقا . وسيتم توفير عنوان الدولة للمساعدات الاجتماعية للمواطنين القادرين على العمل من ذوي الدخل المنخفض فقط إذا كانت مشاركتهم الفعالة في البرامج تحقق العمالة والتكامل الاجتماعي .

الـمـحـور الـرابـع : الـهـويـة والـوحـدة :

85 . وضع صياغة القانون القومي تحت عنوان " **وطني الأم الخالد** " .

86 . وضع وتنفيذ مشاريع واسعة النطاق لجمعية شعب كازاخستان " **الدولة الكبيرة . العائلة الكبيرة** " والتي من شأنها تعزيز الهوية الكازاخستانية وتهيئة الظروف لتشكيل مجتمع مدني متكامل ، وسيتم ربط كل هذا العمل لتنفيذ مفهوم تطوير صناعة السياحة في كازاخستان حتى عام **2020** (**مع تطور السياحة الداخلية**) وإنشاء مجموعات السياحة الثقافية الإقليمية : " **أستانا . قلب أورآسيا** " ، " **ألماطى . المنطقة الحرة**

لكازاخستان الثقافية " ، " وحدة الطبيعة والثقافة البدوية " ، " لؤلؤة ألتاي " ، " إحياء طريق الحرير " ،" بوابة بحر قزوين "

87 . تطوير وتنفيذ مشروع وطني لتعزيز الهوية الوطنية " **بلدي**" الذي ينص على تنفيذ سلسلة من المشاريع التقنية . واحد منها : إنشاء مشروع واسع النطاق على الإنترنت " **دائرة معارف كازاخستان** " مع الهدف الرئيسي لمساعدة كل مواطن والسياح الأجانب لمعرفة المزيد عن هذا البلد . وستتيح بوابة الموقع جولة فيديو ثلاثي الأبعاد **(3D)** عن كازاخستان والمعلومات عن تاريخ وثقافة البلد ، والأحداث المثيرة للاهتمام وحياة الكازاخ العادية . وسيكون المدخل عبارة عن نوع من " **بطاقة الدعوة** " للبلاد ، وهو دليل وطني وقاعة للمشاهير لاهتمام الناس ومنبرا للتواصل الظاهري .

88 . تنفيذ مشروع وطني لتعزيز فكرة جمعية العمل العالمي ، والتي تهدف إلى الترويج لفكرة مجتمع العمل العالمي ، استنادا إلى خطط برنامج تطوير البنية التحتية " **الطريق المضئ** " ، والخطة الخمسية الثانية من التصنيع ، وكذلك القصص الشخصية للنجاح الكازاخستاني **(أبطال عصرنا)** ، والتي تحققت بفضل النتائج الجيدة لسياسة الدولة في العمل ، والأعمال التجارية ، والأنشطة المهنية العلمية والتعليمية وغيرها خلال سنوات الاستقلال ، وهيبة وشعبية المصلحين الاجتماعيين والتخصصات المهنية التي تلبي احتياجات السياسة الصناعية للدولة وتنفيذ استراتيجية " **كازاخستان . 2050** " .

89 . تطوير وتنفيذ مشروع وطني " **المستقبل المضئ** " وإدخال قيم " **وطني الأم الخالد** " في مناهج التدريب في المدارس القائمة .

90 . التغطية والنشر الإعلامي لتنفيذ الإصلاحات الخمس المؤسسية فضلا عن فكرة الهوية الكازاخية في وسائل الإعلام ، والإنترنت ، ووسائل الإعلام من الجيل الجديد ، وكذلك في الشبكات الاجتماعية .

المحور الخامس : خلق المساءلة الحكومية :

91 . التحول إلى الإدارة العامة وإدارة الدولة للحصول على نتائج ملموسة في إطار إجراءات موحدة والحد الأدنى لإجراءات التتبع ، التقييم والرصد ، وأن يستند نظام المراقبة التأديبية فقط على عنصر التحكم إلى تحقيق المؤشرات المستهدفة . وأن يلغى كل أمر إجرائي والسيطرة الوسيطة ، وستعطى السلطات العامة الحكم الذاتي لهم في الأنشطة الرامية إلى تحقيق الأهداف المحددة لمؤشراتهم .

92 . إنشاء نظام مدمج لتخطيط الدولة مع تقليل عدد البرامج الحكومية . برامج التوقف القطاعية مع إدماج برامج خاصة بالصناعة في برامج الدولة وكذلك في الخطط الاستراتيجية لهيئات الدولة ، وإعادة تهيئة الخطط والبرامج لتطوير الأراضي على المؤشرات الرئيسية المستهدفة استراتيجيا .

93 . إدخال مراجعة جديدة وتقييم الجهاز الحكومي ، وتقييم برامج الدولة مرة واحدة كل ثلاث سنوات . تقييم أثر الوكالات الحكومية التي سيتم تنفيذها سنويا بناء على الخطط الاستراتيجية . اعتماد قانون " **الرقابة المالية للدولة والرقابة المالية** " . ستعمل اللجنة حسابات على غرار شركات تدقيق دولية من الدرجة الأولى وسوف تختفي من السيطرة التشغيلية الحالية .

94 . إدخال " **الحكومة المنفتحة** " . تطوير قانون الحصول على المعلومات التي من شأنها أن تجعل أي من المعلومات التي تحتفظ بها الهيئات العامة ، باستثناء المعلومات التي تعتبر من أسرار الدولة ، وغيرها تحت حماية القانون .

95 . إدخال ممارسة رؤساء الخطابة السنوية لهيئات الدولة للسكان من المؤشرات الرئيسية للخطط الاستراتيجية وبرامج التنمية الإقليمية والتقارير ووضعها على المواقع الرسمية للإنترنت ، وإدخال ممارسة التقارير السنوية عن أداء رؤساء الجامعات الوطنية للطلاب وأصحاب العمل والجمهور ووسائل الإعلام .

96 . توفير قواعد البيانات الإحصائية للهيئات الحكومة المركزية على الإنترنت وجميع البيانات المالية للميزانية الموحدة ، ونتائج مراجعة الحسابات المالية الخارجية ، ونتائج تقييم فعالية السياسات العامة والتقييم العام لنتائج نوعية الخدمات العامة ، وسيتم نشر التقرير عن تنفيذ ميزانيات الدولة والميزانيات المحلية .

97 . تمكين المواطنين من المشاركة في صنع القرار والتنظيم الذاتي من خلال تطوير الحكم الذاتي المحلي ، ونقل مهام الدولة غير المعهودة لبيئة تنافسية ، والمنظمات ذاتية التنظيم . وستعمل على خفض الوظائف الحكومية غير الأساسية والزائدة عن الحاجة .

98 . وعلى مستوى منطقة الريف ، القرية ، البلدة ، المدينة أو المنطقة ستنفذ ميزانياتها عن طريق الحكومات المحلية في المراكز والمدن ذات الأهمية الوطنية الإقليمية ستكون آليات مشاركة المواطنين العاملين في مناقشة مشروع الميزانيات ذات الصلة .

99 . تقوية دور المجالس العامة في إطار الهيئات الحكومية والمحافظين لمناقشة تنفيذ خطط وبرامج التنمية في المناطق الاستراتيجية ؛ الميزانيات والتقارير وتحقيق المؤشرات المستهدفة ، مشاريع القوانين والأنظمة التي تؤثر على حقوق وحريات المواطنين ووثائق مشروع البرنامج ، وتأمين هيبة وصلاحيات المجلس العام للقانون وتحسين الشفافية في اتخاذ القرارات الحكومية .

100 . إنشاء مؤسسة الدولة تحت عنوان " **الحكومة للمواطنين** " والتي ستصبح مزودا وحيدا لخدمات الدولة على غرار شركة " **خدمات كندا** " في كندا وشركة " **سنترلينك** " في أستراليا . تقوم مؤسسة الدولة بدمج جميع مراكز خدمة السكان في منظومة واحدة وسيحصل المواطنون الكازاخستانيون على جميع خدمات الدولة في مكان واحد . توجد الشهادة الدولية لخدمات الدولة التي تطابق معايير إدارة الجودة **ISO 9000** .

آليات التنفيذ :

- تم انشاء اللجنة الوطنية للتحديث تحت رعاية رئيس كازاخستان والتي تضم خمس مجموعات للعمل المكونة من خبراء محليين وأجانب .
- تعمل اللجنة الوطنية كإدارة متسقة لتنفيذ الإصلاحات الخمسة المؤسسية بالتدريج وضمان التعاون الفعال بين الهيئات الحكومية وقطاع الأعمال والمجتمع المدني .
- تتخذ اللجنة الوطنية القرارات الهامة وتحديد خطط العمل الملموسة ، ويتم الاعتماد على مقترحات اللجنة من قبل رئيس كازاخستان ، ويعتمد البرلمان والحكومة القوانين والقرارات بهدف تنفيذ القرارات التي تم اعتمادها .
- تقوم اللجنة بتفقد ومراقبة فعالية تنفيذ المبادرات الرئيسية من قبل الوزراء والمحافظين عن كثب .
- تشكيل المجلس الاستشاري الدولي تحت رعاية اللجنة الوطنية والذي يضم الخبراء الأجانب المشهود لهم بالكفاءة والخبرة العالية ، ويقوم المجلس بتقديم التوصيات والاقتراحات وتنفيذ الخطوات المستقلة المنتظمة لنتائج تحقيق هذه الإصلاحات .
- يحدد مكتب رئيس وزراء جمهورية كازاخستان إدارة العمل للجنة الوطنية .

مـفـاتـيـح حـل الأزمـة :

تعتبر الأزمة العالمية التي تهز دولاً كثيرة ، ظاهرة لم يشهد لها العالم مثيلاً من قبل ، ولم يسبق للتاريخ العالمي قبل ذلك أن تعرّض لمثل هذه الظواهر القوية التي من شأنها تغيير النظام العالمي بشكل جذري ، وتبديل أركانه الاقتصادية ولذلك لابد لتحليل هذه الأزمة وفهمها واجتيازها من التعامل معها بشكل غير اعتيادي ، ومن إعادة دراسة النظريات والأنماط والأفكار القديمة .

ليس مفيداً في هذا المجال البحث عن الجهات المذنبة والجهات التي تسببت في هذه الأزمة ، بل يجب تركيز الجهود على تحديد الخلل في النظام الذي أدى إلى كوارث واسعة في العالم ، والأهم من ذلك البحث عن طرق معالجة الأزمة وتلافيها بشكل كامل ، ولذلك علينا أن نملك الجرأة الكافية للاعتراف بأننا نقف على أعتاب قيام نظام اقتصادي وسياسي عالمي جذري جديد .

لا يوجد طريق آخر سوى هذا الطريق إذا ما أردنا فعلياً انتهاز الفرصة الفريدة السانحة لنا والمتمثّلة في استحالة تطور النظام العالمي القديم والمضي قُدُماً في بناء نظام عالمي جديد ، ولا يخفى على أحد أنه للوصول لهذا الهدف لابد من تضافر جهود المجتمع الدولي ، واستنفار الموارد المادية والذهنية وبناء منطق جديد ، وتحديد المحاور الجديدة للتحرك أثناء الفترة الانتقالية ، التي يمكن تسميتها عالم العبور العالمي " **أو العظيم** " **Transit great or (global)** ، ويجب في البداية التعرف علي أسباب الأزمة ومصادرها .

خـلـل عـالـمـي عـمـيـق :

قال أحد المفكرين العظماء من أوروآسيا قبل قرن ونصف : " **تعتبر القوة الخارجية ثمرة للقوة الداخلية** " ، وإذا ما أمعنّا النظر في هذه المقولة ، يمكننا سحبها على ما يحدث حالياً في العالم ، وبالتالي يمكننا القول أن " **الأزمة الخارجية ثمرة للأزمة الداخلية** " .

لا يوجد شك في أن الأزمة العالمية الحالية ليست بأي حال كارثة عفوية أو ظرفاً طارئاً ، بل هي نتيجة خارجية حتمية لخلل داخلي عميق ، ولذلك فإننا إذا لم نحدد هذا الخلل بشكل دقيق ، فإن كل جهودنا في إصلاح النظام الاقتصادي والمالي العالمي ، الذي كان البادئ في الأزمة ، ستبقى دون فائدة ، وإننا إذا لم نتلافى هذه الأزمة ، فإنها ستولّد لنا أزمات جديدة أكثر خطراً وشدة ، وأن الذي حصل هو أن عالمنا في لحظة ما قد وجد نفسه في منتصف نفق الأزمة العالمية ، الذي لا يبدو له نهاية في الوقت الحاضر .

لقد حصل ذلك ، لأننا مازلنا ننظر إلى العالم الحالي نفس النظرة إلى العالم المستقبلي الجديد ، مستخدمين بذلك أدوات التفكير القديمة ، ولذلك فإنه لكي نبدأ بالتحديث الجذري ، علينا أولاً أن نجدد فكرنا وعلينا في الوقت نفسه أن نحدّث المفاهيم ، والمقولات ، والنظريات والمخططات ، والتصورات ، ونوع التفكير ، والمصطلحات التي تعبّر عن حقائق العالم الجديد ومظاهره .

ما هو أساس التطور العالمي ؟ إن المحرك الرئيس لهذا التطور هو المال العالمي الذي يعتبر ثروة عالمية منتجة . وما هو أساس هذا المال العالمي ؟ والجواب هو . **نظام النقد العالمي** . وما هو أساس هذا النقد العالمي ؟ إنها آلية توليد وتداول النقد ، أي القوانين ، والعمليات ، والإدارات **issuer** والأقنية ، والمستخدمين وجهات أخرى .

سبع أسئلة بسيطة :

يمكن أن نبدأ بتجديد تفكيرنا ، مثلاً ، من الإجابة الصريحة على الأسئلة السبعة البسيطة التالية ، والتي تلخص بكل وضوح كيفية تصحيح نظام النقد العالمي .

1 . هل يعتبر الواقع الحالي للنظام النقدي العالمي قانونياً ؟

من المنطقي أنه في ظل غياب قانون نقد عالمي موقَعٍ من زعماء العالم ومعتمد من البرلمانات، فإنه لا يمكن الحديث عن قانونية هذا النظام ، ويمكن ، تحديداً اعتبار

النقد العالمي الموجود كأمر مثبت ، خاصة أنه يُعتبر أمراً واقعاً قبل وضع القانون العالمي ، الذي يَعتبر شرعية النقد يمكن لها أن تكون أمراً قانونياً .

لذلك يجب أن يستند النقد العالمي الجديد إلى قانون نقد عالمي موقَّعٍ من غالبية زعماء العالم ومعتمد من برلمانات غالبية بلدان العالم ، ومن المفيد هنا عدم اعتبار نقد أي دولة نقداً عالمياً ، ويجب على هذا القانون أن يحدد بوضوح لا لبس فيه أن النقد الجديد هو عالمي ولا ينتمي إلى دولة ما ، وأن يحدد كذلك مبادئ إصدار هذه العملة التي يتم إصدارها من قِبَل مركز إصدار العملة العالمي ويمكن لهذا النظام أن يكون أساساً لأول عملة عالمية وقانونية في التاريخ البشري .

2 ـ هل تعتبر عملية إصدار العملة العالمية ديمقراطية محضة ؟

يجب أن يعرف الجميع أنه لا يمكن لأي شعب أن يشارك في اتخاذ القرارات وفي إصدار العملة العالمية ، لم يكن نظام إصدار العملة العالمية القديمة نظاماً ديمقراطياً من أي جهة من الجهات ، ويمكن لكل المستخدمين الأساسيين للعملة العالمية أن يُنشئوا حسب نظام العملة العالمية أجهزة ديمقراطية لإدارة عملية الإصدار والإدارات التي تعمل وفقاً لنظام ديمقراطي صارم .

3 ـ هل يعتبر نظام العرض والطلب للعملة العالمية منافِساً وحراً ؟

من الواضح أن السوق العالمي للعملة العالمية ليس منافِساً ولا يمكن له أن يكون كذلك قبل إنشاء الإدارات العالمية التي تحدد أصول المنافسة في السوق وتسهر على تطبيقها ، ويمكن وقتها تأمين هذه المنافسة الإلزامية ومراقبتها بصرامة من قِبَلِ جهاز تفتيش خاص على شاكلة لجنة مكافحة احتكار النقد العالمية .

من الواضح أن سوق النقد العالمي الحالي لا يمكنه أن يضمن حقوقاً متساوية لكل الجهات التي تقوم بإصدار العملة ، ولا يمكن قطعياً في ظل تحرير الأسواق إعطاء أي امتيازات لأي بائع كان ، أو وضع أي قيود معلنة أو سرية من شأنها أن تحدّ من القدرة الشرائية للعملة العالمية ، ومن دورها في الحصول على السلع ومن

الواضح تماماً أن هذا الأمر لا يمكن له أن يوجد على أرض الواقع ، ومن الواضح تماماً أن هذا السوق ليس حراً ، ويمكن أن يكون سوق النقد العالمي خاضعاً بالقانون لإدارة ما على شاكلة اللجنة العالمية لحرية الأسواق ، ويجب أن يُستبعد تقديم أي امتيازات لأي كان بشكل قطعي في هذا السوق الحر .

4 . هل يعتبر سوق النقد العالمي حضارياً ؟

يخضع نظام اللعب والمناورة في الأسواق المتحضّرة لقاعدة الاتفاق العام بين المشاركين فيه (**بائعين ومشترين**) ، بحيث لا يغبن حق ومصالح أي طرف من الأطراف ، ومن الواضح تماماً أن سوق النقد العالمي لا يعرف هذه المبادئ أبداً وبالتالي لا يمكن اعتبار السوق الحالي سوقاً حضارياً ، ويجب أن يحدد نظام النقد العالمي الجديد أصول اللعب بشكل واضح ، وأن يضمن مراقبتها استناداً للاتفاق المبرم بين المشاركين (**بائعين وزبائن**) .

5 . هل يخضع نظام إصدار العملة العالمية للمراقبة من قِبَل المستخدمين الأساسيين (دول وشركات وأشخاص) ، والمجتمع الدولي بشكل عام ؟

كلا ، لايخضع نظام النقد العالمي الحالي للمراقبة من أيٍ من الشركاء والمستخدمين ويجب أن يملك جميع المستخدمين (**دولاً وشركات وأشخاصاً**) في نظام النقد العالمي الجديد حق وضع آليات دائمة لمراقبة إصدار وتداول العملة العالمية والتي يجب أن تكون واضحة في القانون ، ويجب أن تكون الجهة التي تُصْدر العُمْلة خاضعة لرقابة سلطات ثلاث : التشريعية ، والتنفيذية والقضائية .

6 . هل حدد النظام الحالي مبادئ معينة تجعل الجهات التي تُصْدِر العملة العالمية مسؤولة أمام المستخدمين الأساسيين (دول ، شركات ، أفراد) والمجتمع الدولي بأكمله ؟

لا تتحمل الجهات التي تُصدِر العملة حالياً أية مسؤولية أمام المستخدمين ، ولا أمام المجتمع الدولي ، مما سبّبَ الأزمة العالمية الحالية ، فيجب أن تتحمل كل الجهات القانونية والشرعية والتي تقوم بإصدار العملة العالمية مسؤولية كاملة أمام

المستخدمين الرئيسين (**دول ، شركات ، أشخاص**) وأمام المجتمع الدولي بأكمله عن تصرفاتها (**أو تقاعسها عن العمل)** ، ويمكن عملياً توفير هذا الشرط حسب القانون من خلال إيجاد جهة ما تسهر على تطبيق القانون ، مثل هيئة النقد العالمية للتحكيم .

7 . هل يعتبر نظام النقد العالمي فعالاً ومثمراً ؟ وهل تحقق نشاطاته نمو البشرية والعالم أجمع ؟

أثبتت نتائج نظام النقد العالمي العملية أنّ النقد في العالم ، والتنمية العالمية المستقرة مهددة بوجودها ، مما يدل بشكل قاطع على عدم نجاعتها ، ويجب أن تكون نشاطات الجهات التي تُصدر العملة العالمية الجديدة متطابقة كلياً مع أهداف وقيم نمو العالم والبشرية ، ويجب أن تكون نشاطات نظام النقد العالمي الجديد ونتائج عمله على أرض الواقع مطابقة لأهدافه العليا ولمهام التنمية المستدامة كما يجب وضع الأسس القانونية لهذه المبادئ في نظام النقد العالمي، وكذلك في نظام قياس وتصحيح فعاليته بشكل منتظم .

إن الإجابة الصريحة على الأسئلة السبعة أعلاه تجعل من مسألة تشابه نظام النقد العالمي الحالي مع تحديات القرن الجديد نوعاً من السفسطائية الكلامية .

تغير عالمنا بشكل جذري ابتداء من منتصف القرن الماضي ، ومازالت هذه التغيرات تزداد يوماً بعد يوم ، إلا أن التغيير لم يشمل آلية إصدار العملة العالمية وتداولها ، وقد لوحظ أن وتيرة تجديد العملة العالمية تتخلف بشكل كارثي عن وتيرة التغيرات الحاصلة في العالم ، ويشير هذا الكلام إلى أن نظام العملة العالمية قد أصبح بالياً إلى حد كبير، ووصل إلى درجة لا تقبل الإصلاح ، مما فجّر الأزمة العالمية .

يجب أن تكون آلية نظام النقد العالمي الجديد مبنية على أساس نظام خاص يتجاوز التحديات الهائلة أمام القرن ، والعالم والإنسانية ، وعلى أساس المبادئ السبعة المذكورة أعلاه ، وبهذه الطريقة يمكن لنظام النقد العالمي أن يبقى عصرياً وخالياً

من الشوائب والنواقص ، وأن يكون مَصْدراً للتنمية المستدامة في العالم وبؤرة لازدهار البشرية جمعاء ، وليس مصدراً للأزمات العالمية .

. من أين وإلى أين نسير ؟

علينا بداية أن نشير إلى أن المحرك الرئيس للعالم القديم مازال يمثله حتى الآن رأس المال العالمي الذي يستند إلى وجود عملة عالمية تحمل في طياتها خللاً وراثياً شاملاً يعاني من مشاكل سبعة ، واصطلحنا عادة على تسمية هذا العالم بالنظام الرأسمالي ، ونحن نعرف جيداً أن هذا النظام العالمي المختل والذي يعتمد على عملة مختلة ، كان الأجدر بنا أن نطلق عليه تسمية أخرى أكثر واقعية مثل " **النظام المختل** " (**defectal**) .

تعرّف قبل مدة مئات المليارديرات في العالم بشكل عملي على آثار الخلل في رؤوس أموالهم الوهمية عندما انهارت " **أموالهم الوهمية** " خلال أشهر معدودة اقتنع هؤلاء الآن أن هذا النظام هو فعلاً " **نظام مختل** " ، ومن المفترض أن يلعب نظام مالي عالمي جديد دور المحرك الرئيس للتنمية في العصر الجديد ، يستند هذا النظام بالتحديد على ثروة عالمية نامية ذاتياً ومبنيةً على عملة عالمية خالية من الخلل والنواقص ، ولتحديد هذه الثروة العالمية الجديدة من المفيد إيجاد تعريف مماثل آخر لها .

أطلق اليونانيون القدماء كلمة جميلة " **أكمه** " (**ackme**) على المرحلة العليا للتنمية ، سيجد أحفادنا في يوم من الأيام كلمة مناسبة يستخدمونها للتعبير عن هذا النظام العالمي الجديد الخالي من العيوب والنواقص ، فنحن مقتنعون أنه يمكن لتسمية هذا العالم الجديد أن تشمل فيما تشمل كلمة " **أكمه** " ، مثل نظام رأسمال الأكمه ، أو " **أكميتال** " (**ackmetal**) ، وعندها يمكن لهذا النظام الجبار الجديد أن نسمّيه تسمية صحيحة " **أكميتاليزم** " وليس " **كابيتاليزم** " الذي يعني النظام الرأسمالي (**acmetalizm**) .

هذه المقاربة المعتادة التي تتضمن تعريفاً جديداً لمرحلة التطور الجديدة للنظام العالمي المستقبلي تعطينا إمكانية عملية للتحضير بشكل أفضل لقدوم هذا النظام ولفهم الجوهر الحقيقي للعالم الجديد بشكل أفضل وأعمق ، والأهم من كل شيء فإن هذه المقاربة تمنحنا أداة تجديد جديدة ، يمكن لنا أن نطلق عليها عملياً لفظ العالم الجديد ، مما يهيئونا للتفاعل مع هذا العالم .

من خلال أي شيء يمكننا العبور إلى المستقبل ؟

يمكننا إطلاق كلمة " **عبور** " واعتبارها كلمة مفتاحية تحدد نوع مرحلة التطور التي دخلناها للتو ، وعندها يمكننا أن نطلق كلمة " **ترانزيتال** " **(tranzital)** وليس " أكميتال " على هذا النظام العالمي الجديد الذي يعتمد على عملة عالمية خالية من الخلل جزئياً ، وبالتالي نستطيع أن نطلق على نظام العبور هذا " **ترانزيتاليزم** " **(tranzitalizm)** وليس " **أكميتاليزم** " ، مع ما يتضمنه نظام " **الترانزيتاليزم** " من بنية تحتية مالية عالمية ذات شكل ونوع جديدين ، تتلخص المهمة والرسالة الرئيسة لمرحلة العبور " **الترانزيت** " في تهيئة الظروف للانتقال البيئي في العالم من العملة العالمية القديمة ذات النواقص السبع إلى عملة عالمية أكمه خالية من هذه النواقص السبعة .

والأهم من هذا وذاك هو نزع أو على الأقل تخفيف العبء العالمي من على كاهل النظام العالمي القديم المختل ، وتوزيع هذا العبء على مراكز إصدار العملات الإقليمية والقارية التي تقوم بإصدار وحدات نقدية في الأقاليم ومجموعات الدول المختلفة .

تتقيد الأقاليم والقارات عادة بنفس القوانين المعمول بها في العالم ، وأصبح واضحاً أنه لا يمكن لأي عملة وطنية أن تلعب دور العملة العالمية في العالم وكذلك في الأقاليم والمناطق ، حيث ثبت أن أي عملة وطنية لا يمكن أن تكون فعالة كما هي

وحدة الحسابات النقدية الإقليمية ، التي يقوم بإصدارها المركز الإقليمي لإصدار العملة .

بهذه المناسبة أذكِّر أنه في عام **2003** اقترحت كازاخستان إصدار عملة واحدة لمنطقة الأوروآسيا تسمى " **ألطين** " **(altyn)** أي ذهب ، ولا يعتبر العقد الحالي أول عقد يشهد ولادة وحدات نقدية إقليمية ، حيث كانت المحاولة الأولى في هذا المجال من قِبَل الاتحاد الأوروبي الذي أنشأ وحدة نقدية واحدة سمّاها **(إكيو)** والتي تطورت مع الزمن وأصبحت عملة أوروبية واحدة **(يورو)** ، إننا نرى أن هناك محاولات مشابهة في كثير من مناطق العالم :.

في آسيا . عملة " أسو " ، في الخليج العربي " الدينار أو خليجي " ، في أمريكا اللاتينية – منظمة ألبا التي وضعت وحدة نقدية " سوكر " ، وهناك إشارات مماثلة في القارة الأفريقية ، التي بدأت منذ زمن بعيد إجراءاتها لإصدار " أفرو"

تعتبر كل هذه العمليات على طريق التكامل المالي الإقليمي هامة جداً لتطوير مراكز " **ترانزيتال** " الإقليمية في كل أرجاء العالم ، وهناك أمر مثير للإنتباه وهو أن كل هذه العمليات الهادفة لاعتماد عملات إقليمية قد بدأت قبل وقت طويل من نشوء الأزمة المالية العالمية ، وتعتبر هذه الخطوة بداية لإنشاء نواة لتطوير " **ترانزيتال** " **اقليمي . قاري** تهدف إلى إنشاء مراكز إقليمية لإصدار عملات العبور " **الترانزيت** " الإقليمية ، ويعني هذا أن عالمنا استعد بشكل عفوي لمرحلة جديدة من التجديد الذاتي ، حيث قام بإنشاء مراكز إقليمية لإصدار عملات العبور " **الترانزيت** " الإقليمية قبل وقت طويل من ظهور الأزمة المالية العالمية .

سفينة نوح المحمّلة بالأموال :

يستطيع أي مالك للمال في النظام المالي العالمي القديم المختل أن يعرف ويتفهم موقفه ووضعه من خلال وجهة النظر المتطرفة التالية :.

يسير كل العالم حالياً ببطء ، لكن بثقة للغرق في طوفان الأزمة المالية العالمية ويعتبر " **ترانزيتال** " سفينة نوح من نوع خاص ، حيث تهدف إلى إنقاذ الأصول من طوفان الأزمة العالمية ، لذلك لا يُضير أي إنسان أن يقوم في الوقت المناسب بتحويل أصوله إلى " **ترانزيتال** " .

تستطيع سفينة نوح المالية فقط إنقاذ الأصول وإيصالها كاملة إلى العالم الجديد . عالم " **أكميتال** " ، وتتواجد كازاخستان مع شركائها في الإقليم والتكامل القاري " **دول الرابطة المستقلة ، أوروآسيا ، دول آسيا الوسطى ، منظمة شنغهاي للتعاون** " منذ زمن طويل في إطار التحول العالمي الذي يشهده الربع الأول من هذا القرن ، والذي يتمثل في تأسيس تكتلات إقليمية تكاملية ، تستطيع هذه التكتلات بمستويات مختلفة من الجاهزية أن تتحول إلى مناطق إقليمية إلي " **ترانزيتال** " لها مراكزها الخاصة بها لإصدار العملات الإقليمية .

إن كازاخستان مستعدة مع شركائها في أوروآسيا ومنظمة شنغهاي للتعاون السير تدريجياً وخطوة خطوة على طريق تأسيس مركز إقليمي لإصدار عملة من نوعية جديدة بإمكانها أن تلعب دور العملة الواحدة في منطقة أوروآسيا **Eurasian supranational unit** ، والتي يمكن تسميتها **ESU** وفقاً للأحرف الأولى من عبارة (**الوحدة النقدية لإقليم أوروآسيا**) .

تستطيع هذه العملة بما يملكه مُصْدِروها " **دول أوروآسيا ، دول منظمة شنغهاي للتعاون والهند وباكستان القريبتان من هذين التجمعين** " من ميزات فريدة ، أن تدخل وتنسجم في وقت واحد في منطقة اليورو ، وفي مناطق مالية إقليمية أخرى إذا ما قامت " **ترانزيتالات** " الإقليمية والقارية بدراسة مصالحها بشكل جيد يمكن لموقع الإقليم الهام جداً من الناحية الجغرافية أن يفتح آفاقاً وإمكانيات جديدة في المستقبل ، على أن تتوفر مؤشرات موضوعية لإنشاء عملة عبور " **ترانزيت** " جديدة

في الإقليم على أكتاف " **ينيره** " ، بحيث تقرِّبنا من النظام العالمي المالي المستقبلي " **عملة الأكمه** " .

إلا أننا في ظل الأزمة المالية العالمية الحالية فإننا لا نستطيع عمل ذلك ، لأنه يتوجب على زعماء العالم أن يقوموا بتحضير العالم للانتقال إلى نظام عالمي خال من العيوب والنواقص " **نظام عملة الأكمه** " الذي سيصبح نواة وقلباً لنظام " **أكميتاليزم** " المستقبلي ، وذلك بالتوازي مع إنشاء مراكز عبور " **ترانزيت** " إقليمية وقارية تأخذ على عاتقها عبء النظام العالمي القديم المختل .

خطة التجديد الجذري :

لم يتبقى أمام العالم الكثير من الوقت والموارد للتحضير لهذا المنعطف التاريخي كان يجب علينا قبل الآن أن نقوم بتخطيط وبناء سفينة نوح مالية جديدة " **ترانزيتال** " ، إذا لم يقم كل زعماء العالم الآن وليس غداً بإطلاق عملية تحضير العالم للانتقال العملي من مرحلة " **ترانزاليتاليزم** " المختلة جزئياً إلى مرحلة النظام العالمي المستقبلي " **أكميتالزم** " ، فإن مسألة التنمية المستدامة ستُؤجل إلى عشرات السنين .

على كل المنظمات والمنتديات والقمم السياسية والاقتصادية الكبرى في العالم " **مجلس الأمن الدولي ، دورات خاصة للأمم المتحدة ، مجموعة السبع الكبار مجموعة الدول الإثنا عشر ، المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس ومنظمات أخرى** ، أن تناقش كل هذه المسائل وللبدء بالحل العملي لهذه المسألة فإنه يجب وضع خطة تحديث جذرية تتضمن كل المقاربات الواردة أعلاه .

علينا أن نفهم أنه لا يمكن لأي منظمة أو منتدى أو قمة أن يكون مثمراً ومفيداً إذا لم يقم بوضع وتفعيل خطط تحديث جذرية ، يعتبر هذا التحديث الذي يشمل الانتقال من نظام مالي عالمي قديم مختل إلى نظام جديد " **ترانزيتال** " مؤشراً عالمياً يميز الربع الأول من القرن الحادي والعشرين ، فلا يمكن لخطة تحديث المؤسسات الفاعلة هذه على أي مستوى وفي أي منطقة في العالم أن تكون فعالة إذا ما غابت

عنها النقاط الرئيسة للتحول من النظام العالمي القديم المختل إلى النظام العالمي الجديد يعتمد على عملة جديدة مستقرة وفعالة تلعب دور العبور " **الترانزيت** " .
على هذه الخطة أن تقترح تقنيات مفتاحية للتحول من العملة القديمة غير المستقرة والمختلة إلى نظام " **ترانزيتال** " الجديد ، وأن تقترح سيناريوهات لإنشاء وتطوير مراكز إصدار عملات الترانزيت في الأقاليم ، لا يمكن لخطة التحديث أن تكون فعالة إذا لم تقترح تدابير محددة لمساعدة الجهات السياسية والاجتماعية الرئيسة على كل المستويات لنقل الأمم والشعوب والدول من النظام الرأسمالي القديم المختل إلى نظام " **ترانزيتاليزم** " الجديد .
يمكن للمقاربات الجديدة الواردة أعلاه والتي تتعلق بتحليل وفهم العالم وتحديثه عملياً بشكل ذاتي في ظل الأزمة العالمية أن تكون أساساً صالحاً لإبراز هذه المسائل ومناقشتها وحلها عملياً على كل المستويات وفي مختلف الهيئات ضمن حلٍ واحد منهجي، وبنّاء وإيجابي ، ويمكن لكازاخستان، إضافة لهذا الطرح الشامل ، أن تقترح حلولاً تنظيمية مختلفة أخرى لتسوية هذه المسائل .
نحن على أُهبة الاستعداد للمشاركة عملياً في إجراء منتديات دولية على أعلى المستويات لتنسيق جهود مراكز " **ترانزيتال** " الإقليمية والقارية في كل العالم بإمكاننا أن نقوم ، إذا ما وجدنا من يساعدنا ، في البحث والتخطيط لسيناريوهات شاملة وتطبيقية للوصول إلى نهاية ناجحة ومناسبة في الوقت لمرحلة " **ترانزيتاليزم** " العالمية ، والتي يتواجد العالم حالياً في بدايتها ، وعلى استعداد لعمل الحسابات اللازمة لتحديد مسارات الانتقال العملي إلى عالم " **أكميتاليزم** " المستقبلي .
يمكن لمنظمة التعاون الاقتصادي الأوروآسيوي ومنظمة شنغهاي للتعاون ، بعد أن أسستا مركز أوروآسيا للترانزيت ، أن تبادرا إلى تسريع تطوير عملات **الترانزيت و** " **الترانزيتال** " ليس فقط في أوروآسيا ، والقارات المختلفة ، بل في العالم أجمع ، ويمكن لدول منظمة التعاون الاقتصادي الأوروآسيوي ودول منظمة شنغهاي للتعاون

أن تتقدما بالتنسيق فيما بينهما إلى الهيئات والمنظمات والمنتديات الدولية بمبادرة شاملة حول خطة التحديث الجذرية .

لقد ناقش زعماء الاتحاد الأوروبي في العاصمة الفرنسية باريس في منتدى " **عالم جديد ، رأسمالية جديدة** " قضايا مماثلة لكن بمقاربات مختلفة ، ولماذا لا تكون هناك مناقشة عالمية لمبادرة خطة التحديث الجذرية على مستوى ثلاث كتل " **منظمة التعاون الاقتصادي الأوروآسيوي ، منظمة شنغهاي للتعاون ، الاتحاد الأوروبي** " ؟

ويمكننا بعد الاطلاع على تفاصيل المناقشات التي جرت في باريس وفي المنتديات الأخرى في أماكن مختلفة من العالم أن نؤكد أننا جميعاً نتكلم حول نفس الشيء وحول نفس المشاكل على الرغم من أننا نعيش في قارات مختلفة .

خبرة التحديث الفريدة :

تفتح الأزمة العالمية المتصاعدة من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر أمامنا فرصاً فريدة وعجيبة للتحديث الذاتي ، وتقلل أمامنا شيئاً فشيئاً مهلة استغلال هذه الفرص النادرة على أرض الواقع ، فلم يشهد عالمنا قبل ذلك أبداً مثل هذه الفرصة للتحديث الذاتي وللتأثير على المستقبل وتحديده عملياً .

عندما يدور الحديث حول الإمكانيات التي يمكن أن تتمتع بها التكتلات التكاملية الإقليمية لتجاوز الأزمة العالمية ، فإننا هنا لا يمكننا أن نعفي الحكومات الوطنية من المسؤولية والمشاركة في العمل ، استطاعت دول الرابطة المستقلة خلال العقدين الأخيرين أن تراكم خبرات فريدة في الترانزيت والتحديث ، مما لا مثيل له في دول أخرى في العالم.

على هذه الدول أن تستفيد من خبراتها السابقة المتراكمة في الإدارة أثناء الأزمات.

تعرضت كازاخستان عندما كانت حديثة الاستقلال إلى ظروف غاية في الصعوبة تعرفنا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي على أرض الواقع على العذابات الناتجة عن

مسيرة التحديث الذي لم يكن بالإمكان تحقيقه إلا بعد إنجاز إصلاحات معقدة ومؤلمة ، استطعنا في تلك المرحلة حل مسائل غير قابلة للحل ، وانتصرنا في النهاية .

لماذا لا نعيد الكرّة وننتصر مرة أخرى ؟

نعم لماذا لا ننتصر مرة أخرى خاصة إذا عرفنا أن الموارد والامكانيات في هذه الأيام هي أكثر منها في الماضي ، أنشأنا قبل أكثر من عشر سنوات الصندوق الوطني الاحتياطي الخاص ، الذي كان يستقبل الجزء الأكبر من الدخل الناتج عن تصدير المواد الخام ، لقد أُنشأ هذا الصندوق لتنمية الحاجات الإنسانية ، ولادخار المال للأجيال القادمة ، والتدخل أثناء الأزمات ، يمارس هذا الصندوق نشاطه حالياً بشكل كامل ، ويدعم بوتيرة كافية البرامج الاقتصادية والاجتماعية الأساسية .

مما لا شك فيه أنه من الصعب جداً بل من المستحيل على أي دولة أن تجتاز الأزمة العالمية منفردة لوحدها ، لذلك فإننا ندعم فكرة التكامل على المستويين الإقليمي والدولي ، مُعتَبِرين ذلك أولوية في حل الأزمات ، لذلك فإننا نقوم حالياً بشحذ الهمم لإنجاز خطط التحديث الجذري على المستوى العالمي والإقليمي وعلى المستويات المختلفة الأخرى ، وهذا سيؤدي بالعالم إلى اجتياز مرحلة الترانزيت بسرعة وفعالية أكثر ، والتحضير لدخول نظام " **أكميتاليزم** " العالمي الجديد ، الذي لابد من دخول لأنه أمر حتمي ، بصرف النظر عن بقاء اسمه بهذا الشكل أو حصوله على تسمية جديدة.

من هو المستفيد من هذا الأمر ؟

تستطيع منظمة الأمم المتحدة استناداً لمبادرة خطة التحديث الجذرية العالمية إعادة النظر بجدول أعمال الألفية الثالثة وإدخال التعديلات اللازمة عليها ، هذا أمر ضروري جداً لتأمين انتقال نوعي ومناسب زمنياً للعالم والبشرية من النظام العالمي

القديم المختل إلى عالم نظام " أكميتاليزم " الجديد عبر نظام " **ترانزيتاليزم** " الجديد .

تعتبر خطة التحديث الجذرية أمراً ضرورياً كونها تلعب دور الموجِّه على طريق الخروج من الأزمة ، إن هذه الخطة ضرورية لكل الجهات التي لها علاقة بالتطور العالمي ، " **الدول ، والشركات متعددة الجنسيات ، والمنظمات الدولية** " وهي ضرورية كذلك لتخطيط وإنجاز التحديث الذاتي الفعال .

يلزم لإنجاز هذه الخطة جذب كل الجهات العاملة في الاقتصاد الحقيقي من دول وشركات خاصة ومنظمات ، لكي تستوعب عملياً مبادئ " **ترانزيتال** " العالمي التي تستند إلى عملة الترانزيت العالمية الجديدة ، ولكي نعيش في ظل نظام الترانزيت العالمي يلزمنا اعتماد أساليب جذرية جديدة على أن لا تقتصر على العلوم والصناعة ، بل وتشمل مجالات المال والنقود العالمية ، وتمنح خطة التحديث الجذرية كل الجهات المنخرطة في النظام النقدي المالي العالمي أداة عملية لتنسيق الجهود لتنمية جديدة للبنية التحتية المالية النقدية العالمية .

يمكن لخطة التحديث الجذرية أن تقرِّب بين الدول والشعوب ، وأن ترص صفوفهم على أساس مصلحة الازدهار المشتركة ، كما أنه يمكنها أن تساعد في إيجاد آليات جديدة لتوفير الأمن في العالم ، يمكن لهذه الخطة أن تستند إلى دعامة **مالية . اقتصادية** متينة ترتكز إلى عملة عالمية قليلة العيوب والنواقص .

السوق العالمي الرئيس الجديد :

تحاول كل الجهات العالمية الكبرى بكافة مستوياها ونوعياتها البحث عن وصفاتٍ مختلفة للخروج من الأزمة ، وقد تكللت جهودها بإيجاد سوق عالمي متخصص جديد ، ويمكن وصف هذا السوق بأنه سوق الوصفات العالمية وخطط الخروج من الأزمة العالمية ، إنه سوق مفاتيح حل الأزمة ، مازال الطلب في هذا السوق يفوق العرض بشكل كبير ، وقد ظهر في هذا السوق قطاعان:. **العريض والضيق** .

القطاع الأول : القطاع **العريض** ، وهو يقدِّم حلولاً ووصفات تجميلية لإصلاح النظام النقدي المالي العالمي .

القطاع الثاني : القطاع **الضيق** ، وهو يمثِّل وصفات عالمية لعلاجات وتصحيحات جذرية للعيوب والنواقص الوراثية العميقة لعالمنا الحالي .

يمكن تلخيص خطة التحديث الجذرية المقترحة بأنها وصفة عالمية لعلاج الخلل العالمي بشكل جذري ، تعتبر خطة التحديث الجذرية سلعة جديدة للقطاع الضيق الثاني في سوق مفاتيح الأزمة العالمي .

يعتبر برنامج التحديث الجذري أول مفتاح عالمي لحل مشكلة التحديث الجذري الذي يضعنا أمام الأزمة العالمية ، وإذا كان " **الترانزيتال** " العالمي الجديد بمثابة سفينة نوح للأموال ، فإن خطة التحديث الجذرية المقترحة هي بمثابة اجتهاد أولي لخطة بناء سفينة نوح جديدة ، وإذا ما تم بناء مركز " **ترانزيتال** " الأوروآسيوي فإنه سيكون أول مركز إنقاذي في هذه السفينة ، وتعتبر هذه المقاربة مفيدة لكل العالم ، لقد دخل العالم كله في خضم الأزمة العالمية ، لذلك فإنه لا يمكن تحريك مفتاح الأزمة إلا بتضافر جهود كل العالم ، كل شيء يرتبط بنا .